BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ISSN 3283-2636

# علوم المخطوط

دورية علمية سنوية محكَّمة

العدد السادس
٢٠٢٣

مركز المخطوطات
Manuscripts Center

# علوم المخطوط

دورية علمية سنوية محكَّمة

رئيس مجلس الإدارة
**أ. د. أحمد عبد الله زايد**

المشرف العام
**د. محمد سليمان**

رئيس التحرير
**د. مدحت عيسى**

هيئة التحرير
**د. حسين سليمان**
**ليلى خوجة**

مراجعة اللغة الإنجليزية
**وجدان حسين**

فريق عمل إدارة النشر

الإشراف الفني
ومراجعة التنسيق
**مروة عادل**

التدقيق اللغوي
**د. محمد حسن**
**شيماء علوان**
**آلاء شلتوت**

معالجة النصوص
**صفاء الديب**

المتابعة الفنية
**جيهان أبو النجا**

التصميم الجرافيكي
**آمال عزت**

# دورية
# علوم المخطوط

حولية تراثيَّةٌ محكَّمة مطبوعةٌ (لها موقعٌ إلكتروني) تصدر عن مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، تختص بنشر ما يتَّصل بعلوم المخطوطات، والدراسات والترجمات التراثية، والتحقيقات، بالإضافة إلى التعقُّبات والنقود.

## الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور إبراهيم شبوح (تونس)

الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين (المغرب)

الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد (مصر)

الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف (العراق/ الأردن)

الأستاذ الدكتور بيتر بورمان (ألمانيا)

الأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي (مصر)

الدكتور فيرنر شفارتس (ألمانيا)

الأستاذ الدكتور ماهر عبد القادر (مصر)

الأستاذ الدكتور يحيى بن جنيد (السعودية)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

# علوم المخطوط

دورية علمية سنوية محكَّمة

العدد السادس
٢٠٢٣

مركز المخطوطات
Manuscripts Center

**مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)**

علوم المخطوط. – ع6 (2023)- . – الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز المخطوطات، 2023.

مجلدات ؛ سم.

سنوي

ردمد 3283–2636

«دورية علمية سنوية محكمة»

1. المخطوطات-- دوريات. أ- مكتبة الإسكندرية. مركز المخطوطات.

ديوي –011.31 2020591848848

ISSN 3283–2636

رقم الإيداع: 24367/ 2023

© مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢٣.

**الاستغلال التجاري**

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الدورية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الدورية، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص. ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبِع بمصر

## قواعد النشر

- ألا يخرج البحث عن موضوعات الدورية: (الكوديكولوجيا، تاريخ وفلسفة العلوم، تحقيقات، ترجمات لنصوص تراثية أو لتحقيقات، تعقُّبات ونقد للتحقيقات والدراسات التراثية).
- أن يكون البحث متسمًا بالأصالة والابتكار والمنهجية؛ مستوفيًا شروط البحث العلمي.
- أن يكون البحث غير منشور من قبلُ بأيّ صورةٍ من صور النشر، وغيرَ مستلٍّ من كتابٍ منشور أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه). وفي حال قبول البحث للنشر، لا يجوز نشره في أي منفذ نشرٍ آخر ورقيٍّ أو إليكترونيّ دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- ألا يزيد عدد كلمات البحث -كاملًا- على ١٠ آلاف كلمة، ولا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة (للبحوث، والدراسات، والنصوص المحققة)، ولا يقل عن ٢٠٠٠ كلمة (للنقود، والمراجعات، وعرض الكتب، والترجمات). ويحسب ضمن ذلك: الهوامش، والملاحق، والفهارس، والمراجع والمصادر، والرسوم والأشكال، وصور المخطوطات أو الوثائق.
- يُصدَّر كل بحث بملخص لا يزيد على ١٥٠ كلمة، باللغتين العربية والإنجليزية.
- يقدَّم البحث مكتوبًا إلكترونيًّا بصيغة (Ms Word)، عبر البريد الإلكتروني للمجلَّة، مع سيرةٍ ذاتيَّة معبِّرة عن صاحبه. مع ضرورة أن تكون الأبحاث العربية مكتوبة بخط Traditional Arabic (للمتن بنط ١٦، للهامش بنط ١٢)، أما الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية أو الفرنسية فتكتب بخط Times New Roman (للمتن بنط ١٢، للهامش بنط ١٠)، ويُراعى أن تكون المسافات بين الأسطر ١,٥سم. والالتزام باستخدام الأقواس، وتوحيد الترقيم، وفي حالة كون النص عربيًّا يستخدم الأرقام Hindi. وفي حالة وجود صور ملحقة، لا يقل درجة وضوح الصور عن ٣٠٠ بصيغة TIF أو JPG.
- أن تتسم لغة البحث بالسلامة والفصاحة والدِّقة، وأن يكون البحث دقيقًا في التوثيق والتخريج، وتضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال المأثورة، وأن تُراعى علامات الترقيم مراعاةً تامَّة.

- توضع الهوامش والإحالات في أسفل الصفحة إلكترونيًّا، وتُفصل بخط عن «المتن». ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتاليًا متسلسلًا في البحث كله.
- أن تُثبت المصادر والمراجع في آخر البحث، ويراعى في ثبت المصادر والمراجع -وكذلك في الهامش السفلي للصفحات- أن يكتب اسم المصدر أو المرجع أولًا، فاسم المؤلف، يليه اسم المحقِّق أو المراجِع أو المترجِم في حال وجوده، ثم دار النشر.. إلخ.
- التحكيم سري، وقرار إجازة نشر البحث أو رفض نشره قرارٌ نهائيّ. وفي حال الإجازة مع التعديل يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة -في مدة محددة- إذا كان قرار هيئة التحكيم بإجازة نشر البحث مشروطًا بذلك. أما في حال الرفض فإن هيئة التحرير تحتفظ بحقها في عدم إبداء الأسباب، واستثناءً يجوز لهيئة التحرير أن تزوِّد الباحث بالملحوظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر في بحثه.
- لهيئة التحرير إجراء أي تعديلات شكلية تراها مناسبة لطبيعة المجلة.
- تلتزم هيئة التحرير بإخطار الباحث بنتيجة صلاحية بحثه للنشر.
- تراعي الدورية في أولوية النشر عدة اعتبارات، هي: حداثة موضوع البحث، تاريخ التسلُّم، صلاحية المادة للنشر دون إجراء تعديلات، تنوُّع مادة العدد.
- المواد المنشورة في الدورية لا تعبر بالضرورة عن مركز المخطوطات أو مكتبة الإسكندرية، ويعد كاتب البحث مسؤولًا عما ورد في النص الذي قدَّمه للنشر.
- يُمنح صاحب البحث نسختين مجانيتين من العدد المنشور فيه البحث.

**المراسلات:**

توجه جميع المراسلات عبر البريد الإلكتروني الخاص بهيئة التحرير:
manuscripts.center@bibalex.org أو layla.khoga@bibalex.org

# الفهرس


تصدير ٩

تقديم ١١

افتتاحية العدد ١٣

**دراسات التحقيق والفهرسة**

تحزيب أبي صفوان حُميد بن قيس الأعرج المكي (ت: ١٣٠هـ) بين مصادر الخبر وعد الآي: دراسة استقرائية تحليلية نقدية مقارنة
د. بشير بن حسن الحميري ١٧

تحقيق مخطوطات التراث الشعبي: نظرات تطبيقية في الأدوات والإجراءات المنهجية
د. هشام عبد العزيز ٦٧

**دراسات منجَز الشخصيات التراثية**

السيرة العربية للقديس الفارس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس (أبي سيفين): أضواء على التراث الشعبي المسيحي المصري
د. باسم سمير الشرقاوي ١٠٩

**دراسات كوديكولوجية**

دراسة أثرية لفنون الكتاب لمخطوط أدبي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ١٣٠٩٩ (ينشر لأول مرة)
د. أحمد سامي بدوي زيد، د. محمد قطب أبو العلا ١٥٥

**بحوث مترجمة**

طب النساء والولادة من اليونان إلى ابن سينا (الجزء الثاني)
ماكس مايرهوف، ترجمة: د. محمد علي الكردي ٢٣٣

# تصدير

يُعد التراث العربي المخطوط من أهم الآثار التي ورثناها من تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو الحافظ للتراث الديني، بالإضافة إلى أنه يُسجل لنا الإسهام العلمي والمعرفي الذي قدمه العرب في كل العلوم الطبيعية، ولولاه لفقدنا الكثير من تراثنا العقائدي والفكري، ولذلك وجب علينا تسخير كل الإمكانات في المحافظة على ذلك التراث والعمل على نشره والتعريف به.

وحقيقٌ بنا في ظل ما نعيشه الآن من حالة الارتباك الثقافي الاهتمامُ بالمحتوى المعرفي للكتاب المخطوط، فهو الفيصل في ترجيح المعطيات التاريخية الملتبسة في تاريخنا الإسلامي. ولا شك في أننا نقرأ على صفحات تلك المخطوطات الجوانب المشرقة لما قدمه علماء الدين والفلاسفة المسلمون من إسهام فكري وتقدم علمي اعتمد عليه العرب وغيرهم في تأسيس المعرفة والقيام بدور مهم في الإضافة إلى الفكر البشري كله.

وأخيرًا، لا بد من القول بأن الاهتمام بنشر مثل تلك الدراسات المتخصصة في المخطوط العربي لهو دليل على المسار المعرفي الواضح الذي تقوم به مكتبة الإسكندرية من خلال تقديم أعمالٍ بحثيةٍ جادة في تراثنا العربي الإسلامي، والذي ما زلنا نعمل على الكشف عن كنوزه المعرفية.

**أ. د. أحمد عبد الله زايد**

**مدير مكتبة الإسكندرية**
**ورئيس مجلس إدارة الدورية**

# تقديم

يقدم مركز ومتحف المخطوطات التابع لقطاع التواصل الثقافي بمكتبة الإسكندرية جهدًا كبيرًا في المساهمة في عملية الحفاظ على التراث المخطوط من خلال أعمال استمرت لسنواتٍ عدة؛ بدءًا بالفهرسة والتوثيق، ومرورًا بالترجمة، والتحقيق، والترميم، والحفظ، والعرض المتحفي.

ويستمر القائمون على مركز ومتحف المخطوطات في العمل على كل ما يخدم ذلك التراث المكتوب بأيدي النساخ والعلماء المسلمين بإخراج دورية «علوم المخطوط» التي تضم في أعدادها السنوية أهمَّ ما يكتبه الباحثون المعاصرون في التراث المخطوط من علوم وفنون تحتاج إلى الإضاءة الدائمة للتذكير بإسهام المسلمين في كل العلوم.

وها هو العدد السادس يصدر في حُلة قشيبة، ويغطي مجالات متنوعة من دراسات التراث المخطوط. وسيرًا على هدي الأعداد السابقة، يحافظ فريق هيئة تحرير المجلة على مستوى البحوث المنشورة، من حيث الرصانة العلمية والتحكيم الدقيق.

وأخيرًا، فإن على مركز ومتحف المخطوطات مسؤولية كبيرة تجاه حفظ التراث العربي والإسلامي، وإتاحة المعرفة التراثية لكل ذوي الاهتمام والتخصص، في محاولةٍ لجعل شبابنا يؤمنون بأن لهم تاريخًا عظيمًا، وأن الحضارة العربية أسهمت إسهامًا كبيرًا في خدمة الإنسانية.

**د. محمد سليمان**

**رئيس قطاع التواصل الثقافي**
**والمشرف العام على الدورية**

# افتتاحية العدد

في هذا العدد السادس، تقدم دورية «علوم المخطوط» مجموعةً متنوعة من الدراسات البحثية في علوم المخطوط وفنونه، ففي دراسات التحقيق والفهرسة نقرأ للدكتور بشير بن حسن الحميري بحثه المعنون بـ: تحزيب أبي صفوان حُميد بن قيس الأعرج المكي (ت: ١٣٠هـ) بين مصادر الخبر وعد الآي: دراسة استقرائية تحليلية نقدية مقارنة. وقد قدَّم البحث أحد الأوجه في العدد المكي، من خلال التحزيب الذي وضعه حُميد الأعرج، بعيدًا عن التصحيفات والتحريفات؛ بمقارنته بعدة مصادر.

أما البحث الثاني في القسم ذاته فعنوانه: تحقيق مخطوطات التراث الشعبي: نظرات تطبيقية في الأدوات والإجراءات المنهجية، للدكتور هشام عبد العزيز الذي عرض بعض أهم التجارب السابقة في مجال تحقيق التراث العربي لباحثين عرب وأجانب، وما استطاعوا إنجازه في هذا الصدد، من وجهة نظره. وفي هذا السياق، استعرض الباحث بعض الإجراءات المنهجية الأساسية في علم تحقيق التراث محاولًا الكشف عن التغييرات الضرورية في هذه الإجراءات عند تحقيق نص شعبي مخطوط.

وفي دراسات منجَز الشخصيات التراثية نقرأ البحث المعنون بـ: السيرة العربية للقديس الفارس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس (أبي سيفين): أضواء على التراث الشعبي المسيحي المصري، للدكتور باسم سمير الشرقاوي، كنموذج للسير الشعبية المصرية المسيحية المدونة باللغة العربية بلهجتها المحلية، ساعيًا للكشف عن هوية المؤلف المنحولة إليه السيرة، وتتبع بعض المفردات المستخدمة بالنص والشائعة في الحضارة العربية.

أما الدراسات الكوديكولوجية، فننشر فيها: دراسة أثرية لفنون الكتاب لمخطوط أدبي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ١٣٠٩٩ (ينشر لأول مرة)، للدكتور أحمد سامي بدوي زيد والدكتور محمد قطب أبو العلا. وتحاول الدراسة أن تثبت أن المخطوط هو نسخة من مخطوط ديوان حافظ الشيرازي، وأن المخطوط لا ينسب إلى إيران، وإنما ينسب إلى مركز كشمير بالهند، وتمكنت الدراسة من تأريخه بالقرنين (١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م)، وفقًا لمقارنة هذه النسخة بمجموعة من النسخ الأخرى المشابهة.

وأخيرًا في قسم البحوث المترجمة نورد نصًّا مهمًّا من نصوص المستشرق ماكس مايرهوف: طب النساء والولادة من اليونان إلى ابن سينا، الجزء الثاني، ترجمة الأستاذ الدكتور محمد علي الكردي (رحمه الله).

**د. مدحت عيسى**
**مدير مركز المخطوطات**
**ورئيس تحرير الدورية**

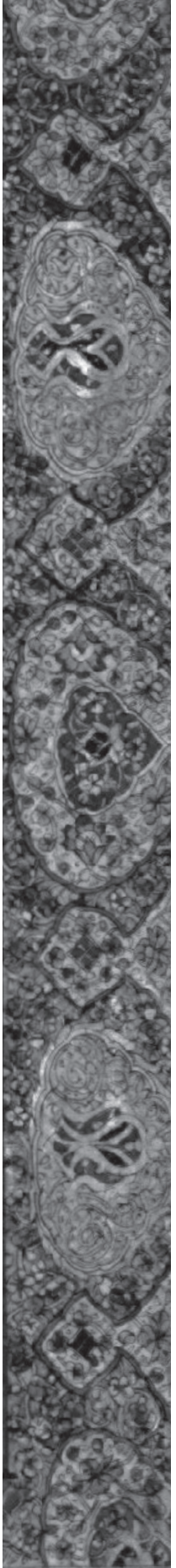

# دراسات التحقيق والفهرسة

# تحقيق مخطوطات التراث الشعبي
# نظرات تطبيقية في الأدوات والإجراءات المنهجية

**د. هشام عبد العزيز**(*)

**ملخص البحث**

تهتم هذه الورقة البحثية ببعض الملاحظات المنهجية، التي وضع الباحث يده عليها أثناء عمله في تحقيق مخطوطات التراث الشعبي.

وفي سياق البحث، عرض الباحث بعض أهم التجارب السابقة في مجال تحقيق التراث العربي لباحثين عرب وأجانب، وما استطاعوا إنجازه في هذا الصدد، من وجهة نظر الباحث.

وفي هذا السياق، استعرض الباحث بعض الإجراءات المنهجية الأساسية في علم تحقيق التراث، محاولًا الكشف عن التغييرات الضرورية في هذه الإجراءات عند تحقيق نص شعبي مخطوط.

وقد حاول الباحث النظر إلى هذه الملاحظات المنهجية التطبيقية في ضوء السياق الثقافي العام، سواء في مصر أو في المنطقة العربية، مع التركيز على مصطلحات جديدة صكَّها الباحث، وأهمها مصطلح «المجال الحيوي» لكل مخطوط.

**الكلمات المفتاحية**: تحقيق التراث الشعبي - المحقق المتخصص - المجال الحيوي للمخطوط - المقابلة بين النسخ - المنهج بين الثبات والتغير - ألف ليلة وليلة.

---

(*) باحث في التراث الشعبي.

# Folklore Manuscripts

## First-Hand Perspectives on Methodologies Critical Editing

**Dr. Hisham Abdelaziz**(*)

### Abstract

This paper furnishes the author's first-hand perspectives on the critical editing of folklore manuscripts. The author reviews significant milestones of Arab and foreign folklorists. In this context, the researcher assesses the fundamentals of critical editing methodology in an attempt to highlight necessary procedural changes in dealing with folklore manuscripts.

The researcher examines these perspectives within the general cultural context, whether in Egypt or the Arab region, with a focus on new formulated concepts, the most important of which is the coined term of the "manuscript vital field".

**Keywords**: Folklore manuscripts critical editing – specialized critical editor – manuscript vital field – collation – fixed and variable methodology – *One Thousand and One Nights*.

---

(*) Folklorist.

# مقدمة

لقد مثّل اختراع آلة للطباعة طفرة نوعية في نقل المعرفة والحفاظ عليها، ولم يعد ذلك محلًّا لاختلاف وجهات النظر الآن؛ حيث أثَّرت هذه الماكينات الساحرة في نقل المعرفة الإنسانية بشكل عام، وأحدث نقلةً نوعية ما زلنا نجني ثمارها حتى كتابة هذه السطور.

أما منذ ما يزيد على ثلاثة قرون، وتحديدًا مع بداية القرن الثامن عشر، وفي الآستانة؛ فقد لقيت المطبعة «عنتًا شديدًا من الحكومة، ومن رجال الدين الذين أفتوا يومئذٍ بأن المطبعة رجس من عمل الشيطان.. وبقي الحال على ذلك إلى أن صدر أمر سلطاني سنة ١٧١٢م بإنشاء مطبعة قامت بطبع جميع الكتب، عدا كتب الفقه والتفسير والحديث، وبقية الكتب الدينية الأخرى»[١].

تشير هذه الحادثة التاريخية التي حدَّثنا عنها عبد اللطيف حمزة إلى عدة ملاحظات مهمة، منها أن السماح للمطبعة بالوجود في عاصمة الخلافة جاء بعد ١٨٨ سنة من اختراعها؛ حيث تأسست أول مطبعة عربية في العالم في روما عام ١٥١٤م، وهو ما يشير إلى أي مدى كان العالم الإسلامي يعاني أزمة حضارية عميقة. كما أن ظهور المطبعة في عاصمة العالم الإسلامي وقتها (الآستانة) جاء بعد ظهورها في إحدى المدن التابعة لها، وهي حلب، بنحو عشر سنوات؛ حيث ظهرت المطبعة في حلب عام ١٧٠٢م، «وهو ما يعني أن عاصمة الخلافة نفسها كانت ضمن عوائق التقدم في منطقتنا فترة غير قصيرة من تاريخنا»[٢].

وحتى عندما سُمح للمطبعة بالعمل، سُمح بذلك على مضض، مع عدم طباعة الكتب الدينية «الطاهرة» بآلة هي رغم السماح بها «رجس من عمل الشيطان».

إن هذه الإشارة التي استفدت منها عند دراستي عن «الصحف المصادَرة في مصر حتى عام ١٩٥٢م»، هي التي تبرر مدى الانتشار الواسع الذي شهدته طباعة السِّيَر الشعبية العربية و«ألف ليلة وليلة» في العالم العربي، وخاصة في مصر، منذ منتصف القرن التاسع عشر، حتى إن رائدًا

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة، **قصة الصحافة العربية منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين**. مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٩٦٧م: ٢٥-٢٦.

(٢) هشام عبد العزيز، **صحف مصادرة في مصر حتى عام ١٩٥٢م**. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م: ٥-٦.

كبيرًا من رواد مدرسة النهضة وهو محمد عبده، شكا من غزارة طباعة مثل هذه الكتب، حين كتب في إحدى مقالاته نهايات القرن التاسع عشر محذّرًا من طباعة السير الشعبية بشكل أسبوعي وإقبال الناس عليها، حيث طُبعت هذه الكتب مئات المرات، ونفق سوقها، ولم يكن بين الطبعة والثانية إلا زمن قليل(٣).

ولعل هذا التصور لتدنِّي المادة المطبوعة والآلة التي تطبعها هو ما يفسر نظرة صاحب «حاضر المصريين أو سرّ تأخرهم»، من أن هذه المطابع تطبع الضار والمفسد(٤).

إن قراءة مقال محمد عبده، وكذلك ما كتبه محمد عمر، على خلفية الأمر السلطاني بعدم طباعة الكتب الدينية بآلات الطباعة الحديثة، يشير بلا شك إلى نظرة المجتمع العربي - نخبته قبل غيرهم - إلى التراث الشعبي بتجلياته المختلفة. وليس كما أشار بعض الباحثين من أن نشر المصاحف القرآنية ومجموعات الحديث والنصوص الدينية والأعمال الأدبية والرسائل العلمية، لم يكن جزءًا من عمل مطبعة بولاق؛ لأن المطبعة واصلت ممارسة المعرفة الإدارية والكتابة السلطانية(٥).

لكن الباحث إسلام الداية نفسه، أشار في دراسته تلك إلى ما سماه «ثقافة الطباعة»(٦) والتحرير التي نشأت حول مطبعة بولاق، وذلك عند عرضه للتاريخ المبكر للطباعة العربية.

على خلفية هذه التصورات الثقافية العامة، تنطلق هذه الورقة التي تهتم بمصطلح «التحقيق» الذي لا مشاحة فيه، وإشكالاته المنهجية، وما يمكن أن يمثِّله من قيمة مضافة.

(٣) محمد عبده، **الكتب العلمية وغيرها**. الوقائع المصرية، ١٢، مايو ١٨٨١م.

(٤) انظر: محمد عمر، **حاضر المصريين أو سر تأخرهم**. تحقيق: مجيد طوبيا، دار المحروسة، نسخة مصورة عن طبعة صادرة عام ١٩٠٢م، القاهرة: ١٥٦.

(٥) Islam Dayeh: "From Taṣḥīḥ to Taḥqīq: Toward a History of the Arabic Critical Edition". *Philological Encounters* 4. Koninklijke Brill NV, Leiden, 2019. p. 249.

(٦) Islam Dayeh: p. 247-248.

ربما يدرك كثير من المثقفين العرب سواء على المستوى العام أو على المستوى المتخصص[٧] أننا نتعاطى نصوصًا شعبية مخطوطة، في مجال السير الشعبية العربية مثلًا، ما زالت غير محققة ولا منضبطة انضباطًا يسمح بالإتاحة للقراءة الآمنة، ناهيك عن إمكانية درسها والخروج بنتائج علمية دقيقة[٨].

ويمكن لكثير من قرّاء السير وباحثيها المتخصصين الحديث عن معاناتهم عند تناول نص من هذه النصوص، فلا أسماء الشخصيات دُوِّنت بشكل موحَّد، ولا معرفة دقيقة بجغرافيا الأحداث ولا المرجعية التاريخية التي تشير إليها أحداث السير، إلى آخر المعضلات المتصلة بكل جوانب السرد الأدبي، بدايةً من لغة هذا السرد لهجيًّا، وحدود الدلالة المقصودة من بعض التعبيرات أو الأمثال التي ترِد داخل النصوص.

إن ما سبق ليس إلا أمثلة قليلة من المشكلات التي يواجهها مستهلكو السير الشعبية وباحثوها المتخصصون، وهو ما يعني ببساطة أن هذه النصوص تحتاج بما لا يدع مجالًا للشك إلى تحقيقها تحقيقًا علميًّا منضبطًا، ييسِّر قراءتها ودرسها بشكل صحيح.

(٧) لعل من نافل القول أن كل باحث من المنخرطين في الشأن الثقافي، هو في مستوى من مستويات تلقيه يمكن اعتباره مثقفًا عامًّا، وذلك حين يتعاطى مع نصوص ليست في مجال تخصصه الدقيق، وهو الفارق الذي يغفل عن خطورته كثيرون، وأرجو أن لا أكون صادمًا حين أشير إلى خطورة أن يتصدى ناقد في نظرية الأدب لدراسة نص شعبي مثل الزير سالم بطبعاته (غير المحققة) المتاحة في المكتبات، لمجرد أنه نص أدبي. إن ناقدًا كصديقنا هو مثقف عام في هذه الحالة، رغم أنه في جانب آخر ناقد متخصص إذا ما قرأ النص نفسه (سيرة الزير) محقَّقة منضبطة محتشدة بمصطلحات دقيقة تكشف محتواها ورتبتها وزمنها ومجالها الحيوي. الأمر يصبح أكثر وضوحًا إذا ما أشرنا إلى باحث رفيع في مجال الفقه، قرر دراسة مخطوط في مجال الرياضيات على سبيل المثال.

(٨) لعل من المفيد هنا الإشارة إلى ما قام به الدكتور محمد رجب النجار – عليه رحمة الله – من «تحقيق» سيرة علي الزيبق، فقد حاول الأستاذ الجليل أن يسد ثغرة واسعة وبذل ما يستطيعه من جهد، معتمدًا على محصوله الوفير من علم الأدب الشعبي، لكن تحقيق السير الشعبية العربية ينتمي لما يسمى في البحث العلمي «الدراسات البينية» التي تحتاج إلى توفر مَن يتصدى لها على محصول كافٍ من الأدب الشعبي والتاريخ وتحقيق التراث معًا. لذا جاءت محاولة أستاذنا الجليل ضبطًا للنص قدر الإمكان دون الاستفادة القصوى من الإجراءات المنهجية التي يتيحها علم تحقيق التراث. ولا شك أن محاولته تستحق الثناء والاحترام. انظر: **سيرة علي الزيبق المصري**. تحقيق: محمد رجب النجار، سلسلة دراسات شعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

وتكمن الإشكالية هنا في عدة جوانب:

**أولًا**: كثير من المتخصصين في مجال التحقيق ليسوا ممن تستهويهم السير الشعبية العربية؛ إذ ما زال كثير منهم ينظرون إلى الآداب الشعبية نظرة ازدراء، تمنعهم من بذل الجهد الذي يحتاجه تحقيق نص بعينه.

**ثانيًا**: نصوص السير نفسها كُتبت بلغة وبأساليب سردية تستعصي على ما تعلَّمه محققو التراث في تخصصهم الدقيق، فتحقيق هذه السير الشعبية يحتاج إلى أدوات وإجراءات منهجية مختلفة أحيانًا عما اعتاد عليه أشياخنا من المحققين.

**ثالثًا**: يحتاج تحقيق النصوص الشعبية إلى مادة مصدرية تعين المحقق في عمله، على غرار ما يستعين به محققو النصوص الرسمية. وأقصد بذلك كتب اللهجات ومعاجم العاميات، وكتب التاريخ الشعبي والأمثال والتعبيرات والعادات والمعتقدات الشعبية، إلى آخر هذه المصادر النادرة إن لم تكن مفقودة.

**رابعًا**: نصوص السير الشعبية العربية في غالبها كبيرة الحجم؛ إذ يصل بعضها إلى خمسة أجزاء وسبعة أجزاء، وهي مساحات من السرد مرهِقة عند تحقيقها على الرغم من متعة تلقيها جماليًّا ومعرفيًّا.

الغريب أنه على الرغم من قلة عدد السير الشعبية الشهيرة بشكل عام (نحو عشر سير)، فإنها لم تجد مَن يتصدى لتحقيقها على قِدَم علم التحقيق في بلادنا العربية. ويبدو أن السبب الأهم في ذلك أن المتخصصين في الأدب الشعبي لا يدركون أهمية قراءة نص محقق، وما يمكن أن يضيفه ذلك لأبحاثهم. ومع عدم توفر نص محقق يتيح قراءة آمنة، يمكن أن أقول - وأرجو ألا أكون صادمًا -: إن كثيرًا من الباحثين لم يقرأوا السير الشعبية.

## التجارب السابقة[٩]

لم تعرف المكتبة العربية جهودًا كثيرة في تحقيق مخطوطات التراث الشعبي العربي، ناهيك عن أن نتوفر على مدارس لهذا المجال العلمي. لكنها بشكل عام انقسمت إلى فريقين؛ فريق اهتم بالنص المحقَّق من حيث كونه نصًّا مهمًّا، فتصدى لنشره، وركَّز جهده على وضع تعليقات على النص، أغلبها تعليقات موضوعية، وكأنه يناقش المادة التي يحتوي عليها المخطوط، ثم رأى أن من الواجب أن يخطِر القارئ بإجراءات «تدوينه» لهذا المخطوط، ثم وضع مقدمة/ دراسة حول «محتوى المخطوط»، وأسباب اهتمامه به. والأمثلة على ذلك كثيرة، أهمها ما قام به كمال أبو ديب عند نشره كتاب «العظمة»، كما سيأتي.

أما الفريق الثاني فقد اهتم بنشر النصوص دون تحقيق أصلًا، واكتفى من الأمر بمجرد اطلاع القراء عليه. وفي النوع الثاني ظهر أيضًا من يهتمون بترجمة تراثنا إلى لغات أجنبية، فلم يكن من أولوياتهم الاهتمام بإجراءات التحقيق ولا أدواته.

### أولًا: تجربة محمد رجب النجار

محمد رجب النجار؛ أستاذ علم في مجاله أكبر من أن أعرِّف به. وتجربته من أوائل التجارب التي طالعتها في تحقيق مخطوطات التراث الشعبي العربي، وذلك في تحقيقه لنصَّيْن قصصيَّيْن على درجة كبيرة من الأهمية هما:

- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ١٩٩٧م، تأليف أحمد بن محمد بن عرب شاه.
- سيرة علي الزيبق المصري، ٢٠٠٤م.

ويلاحظ المتتبع لرحلة محمد رجب النجار العلمية وموقع هذين النصين منها:

(٩) آثرت هنا استخدام «تجارب سابقة»، وليس «دراسات سابقة»؛ إذ إن ما سأعرض له أكثر من مجرد دراسة علمية، بل إن كلًّا منها تجربة علمية بحق، إن لم أقل «رحلة علمية»، لكل تفصيل في هذه التجربة/ الرحلة ما يستحق التوقف عنده بتأنٍّ ورَوِيَّة. وهو ما أرجو أن يسمح به العمر لإنجاز كتاب عن «تحقيق مخطوطات التراث الشعبي العربي».

**أولًا**: كان اختيار النصين متسقًا والجهد العلمي للدكتور رجب النجار طوال رحلته العلمية؛ حيث اهتم طوال حياته بالسرد القصصي ذي البعد الشفاهي.

**ثانيًا**: جاء تحقيق الدكتور محمد رجب النجار للنصوص التراثية تتويجًا لرحلته العلمية الطويلة؛ حيث حقَّق «فاكهة الخلفاء» عام ١٩٩٧م، كما حقق «سيرة علي الزيبق المصري» عام ٢٠٠٤م، أي قبل وفاته بأقل من عام، وهو ما يعني تقديره لعلم التحقيق عامة، كما يؤكد على أهمية التراكم المعرفي والمنهجي في مجال التخصص عند التصدي لتحقيق نصوص تراثية في الموضوع ذاته.

لقد كان اهتمام الدكتور رجب النجار - عند تحقيق نصيه المهمين - منصبًّا على الموضوع دون الانشغال بمجموعة الأدوات المنهجية الخاصة بعلم التحقيق، والتي لم يجد لها الدكتور النجار مبررًا - على ما يبدو - في علم الفولكلور، وهو ما قلَّل من اهتمامه مثلًا بالمقابلة بين النُّسخ، حتى لا يُثقِل حواشي النص المحقَّق بما يباعد بين القارئ والإمتاع القصصي المرجو من نصوص كالتي حقَّقها.

يقول: «بداية، لم أشأ أن أُثقل الكتاب بحواشي الخلافات والأخطاء المتباينة بين النسخ المطبوعة، أو بينها وبين النسخ المخطوطة، وإنما سعيت إلى إعداد نسخة كاملة تقارب النص الأصلي؛ إذ ليس من الأهمية بمكان ذكر مثل هذه الأخطاء اللغوية أو الإملائية أو النحوية أو الطباعية في كل نسخ النص، الأمر الذي يجعل القارئ مشتَّتًا؛ عين على المتن، وعين على الحاشية. وهو ما تغاضينا عنه، خاصة في تحقيق نص قصصي يقوم في جوهره على التشويق السردي ومتابعته دون قطع أو توقف، ثم هي خلافات وتصحيفات - في ظني - لا تعني القارئ في قليل أو كثير بقدر ما يعنيه وجود نص سردي متكامل مقروء خالٍ من الأخطاء - قدر الإمكان - ومضبوط بنائيًّا»[١٠].

إن هذه المجموعة من المعايير المنهجية التي اتبعها رجب النجار في تحقيقه ليس لها من غاية سوى المحافظة على لذة القص - حسب تعبيره - التي لا يريد لها أن تُقطع بحاشية هنا أو هناك؛

(١٠) أحمد بن محمد بن عرب شاه، **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء**. تقديم وتحقيق وشرح: محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٢٥.

حيث إن «لذة القص تقتضي أن لا تَقطع النصَّ حاشيةٌ من حواشي التصحيف، أو خطأ طباعي أو إملائي هنا أو هناك، وإلا فما معنى تحقيق نص قصصي، هو في روحه نص شفاهي برغم كونه نصًّا مكتوبًا»(١١).

وهذه الغاية الأساسية في عقل ووجدان رجب النجار، هي التي حددت أدواته المنهجية في التحقيق على النحو الذي أثبته في مقدمة كتاب «فاكهة الخلفاء»؛ حيث حدد منهج تحقيق النصوص الشعبية فيما يلي:

١ - تكامل النص وخلوه - قدر الإمكان - من النقص أو الغموض الذائع بين النسخ.

٢- ضبط بنية الكلمات صرفيًّا، كلما اقتضى المقام (المعنى) ذلك.

٣- الضبط الإعرابي أو النحوي. وقد استثنى النجار من هذا الضبط النحوي كلمات أواخر الجمل في نص «فاكهة الخلفاء»؛ وذلك لأن «الأصل في حالة السجع الوقوف بالسكون عليها. ومن ثم، فسوف توجد كلمات تقتضي النصب بالألف مثلًا، ولكن المؤلف آثر الضرورة السجعية - إذا صح التعبير - على الضرورة النحوية، فلم ينصبها، استجابة لضرورة السجع.. وقد جاريناه في ذلك حرصًا على إيقاع الجمل، وقد اقتضت ضرورات السجع والجناس أيضًا أن يقوم المؤلف أحيانًا بتغيير بنية المفردة أو الكلمة بحذف حرف أو إضافة آخر أو تخفيف مهموز... إلخ، مما قد يصرف القارئ عن المعنى المقصود.. فاضطررنا إلى تفسير ذلك في الحاشية أحيانًا»(١٢).

ويضيف رجب النجار، بقية معاييره:

٤- علامات الترقيم. وعلامات الترقيم - كما نعلم - ليست ترفًا، بل هي جزء لا يتجزأ من سيميولوجية القراءة.

٥- عرض المفردات على المعاجم اللغوية؛ تأكيدًا لصحة النص، وترجيحًا لما بين النسخ من أخطاء التصحيف وما بينها من خلافات.

٦- توثيق النصوص القرآنية.

٧- ضبط الأعلام التاريخية، والأماكن الجغرافية، والتعريف بها.

٨- تعريف المصطلحات الإدارية(١٣).

---

(١١) المرجع السابق نفسه.

(١٢) السابق: ٢٦.

(١٣) إن هذه الحدود والمعايير المنهجية سيجدها القارئ متكررة أحيانًا بنصها في مقدمة سيرة علي الزيبق المصري. انظر محمد رجب النجار، **سيرة علي الزيبق المصري** (تحقيق). سلسلة دراسات شعبية، الهيئة المصرية القصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م: ٦٦-٧٠.

إن المشقة الحقيقية التي كابدها الدكتور النجار في تحقيق نصَّيْه الكبيرين ليست في صعوبة النصين فحسب، وإنما لأن هذه النوعية من النصوص التراثية تحقق دون وجود حقيقي لنصوص أساسية يُعتمد عليها في تحقيقها، فلا توجد لدى الباحث معاجم كافية تعتني باللغة العامية في العالم العربي في المراحل التاريخية المختلفة من حياة ثقافتنا، وهو ما يدفع مثلًا إلى اللجوء لمعاجم الفصحى عند احتياج الباحث لتعريف كلمة مستغلقة في النص الذي يقوم بتحقيقه. ولو أن لدى الباحث هذه الأدوات من مصادر ومراجع ونصوص ضابطة يمكن الرجوع إليها، لكانت الأدوات المنهجية لدى مَن يتصدى لتحقيق نص شعبي، أكثر انضباطًا وارتباطًا بموضوعها، وهو ما يجعل الحياة الأكاديمية في احتياج شديد لمثل هذه النوعية من المراجع والمصادر الأساسية في مجال اللهجات والعادات والمعتقدات والأدب الشعبي، حتى تكون معينًا جادًّا عند تحقيق نصوص تراثية ذات روح شفاهية، على حدِّ تعبير النجار.

## ثانيًا: تجربة كمال أبو ديب

كمال أبو ديب أكاديمي أشهر من أن أعرِّف به، وهو أحد المتخصصين في الدراسات النقدية العربية. وهو هنا يعطينا مثالًا آخر لمحقق التراث المتخصص في موضوع النسخة الخطية التي يتصدى لتحقيقها.

وفي الكتاب الذي أشير إليه «الأدب العجائبي والعالم الغرائبي» حقَّق أبو ديب «كتاب العظمة» مجهول المؤلف، حسب أبو ديب، الذي أقرَّ بأن الأمر يحتاج إلى بحث أكثر استقصاءً للوقوف على هذا المؤلف المجهول، أو ترجيح أحد الأسماء التي نسبت المصادرُ الكتابَ إليها، بين الغزالي وابن أبي الدنيا وغيرهما.

وعلى الرغم من احترامي لما قام به أبو ديب من جهد، وما كشف عنه من إمكانات يمكن أن يحتوي عليها أي نص تراثي؛ فإن لي على تجربته الرائقة عددًا من الملاحظات:

**أولًا**: اهتم أبو ديب بمحتوى المخطوط من حيث المضمون الذي رآه هو، دون اهتمام بالمخطوط ومجاله الحيوي من: زمان تأليفه، أو نسخه، ونوع الخط، والنُّسخ، ومادة النسخة الخطية، إلى آخر الملاحظات التي تبدو شكلية لكنها في الحقيقة تحمل دلالات ثقافية مهمة.

**ثانيًا**: جاءت إجراءات التحقيق التي اعتمدها أبو ديب وأوردها في آخر مقدمته، عبارة عن صفحتين ذكر فيهما ملاحظات إملائية وأخرى خاصة بعلامات الترقيم.

**ثالثًا**: لم يهتم بإمكانية وجود نسخ خطية أخرى؛ لأن هذا المخطوط لن تتأكد علاقته بعالم التراث الشعبي إلا بالنظر الدقيق في النسخ الأخرى. بل إن أبو ديب في هذا السياق أهمل عن عمد البحث عن نسخ أخرى، وقال: «يقتضي العُرف العلمي أن أؤجل نشر «العظمة» إلى أن أراجع المخطوطات التي تشبه مقدماتها مقدمته، وأحقق النص تحقيقًا مبنيًّا على مقارنة جميع النسخ. غير أنني سأخرج على هذا العرف الآن لسببين: الأول عملي هو أنني عاجز عن القيام بهذا العمل الآن، وأنني لا أريد دفن هذا النص من جديد بعد أن ظل بين يدي ثلاثة عقود، ونشرت أقسامًا منه قبل عشر سنوات؛ والثاني هو أن اهتمامي به أدبي نقدي خالص، وهو يعنيني من حيث هو نص للخيال الطليق الجموح، ولا يهمني كثيرًا ظهور نسخ أخرى له قد تكون فيها صيغ مغايرة لما أنشره. فما أنشره نص قائم بذاته له بنيته السردية الخاصة به والخصائص الفنية المائزة له. وهو بهذه الصورة منطلق متميز لي لتقديم دراسة للأدب العجائبي باللغة العربية، ودراسة مماثلة باللغة الإنكليزية، تتناول قضايا على قدر بالغ من الأهمية، بينها علاقتنا بالتراث وعلاقتنا بالغرب، وتفنّد آراء لعدد من الغربيين حول العرب والتراث العربي وتاريخ الإبداع والخيال الجموح. ولن يمنعني نشره الآن من أن أحاول في المستقبل أن أجمع مخطوطاته الأخرى، وأتمم العمل عليها لإصدارها بصورة مدقَّقة محقَّقة ولأغراض مختلفة تمامًا»[١٤].

وعلى الرغم من قيمة ما قام به كمال أبو ديب من اشتباك منتِج مع النص التراثي، فإن عمله في حقيقة الأمر أهمل عن قصد إجراءات منهجية أصيلة في علم تحقيق التراث. كما أن اهتمامي بذكره هنا يعتمد في الحقيقة على ظن أن النسخ الخطية الأخرى للكتاب الذي تصدى لتحقيقه، وهو كتاب «العظمة» الذي يعد نصًّا شعبيًّا، تحمل تجليات/ روايات أخرى - إن وجدت - لهذا النص المهم.

(١٤) كمال أبو ديب، **الأدب العجائبي والعالم الغرائبي**، في كتاب **العظمة وفن السرد العربي**. دار الساقي بالاشتراك مع دار أوركس للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م: ٦٥-٦٦.

## ثالثًا: تجربة جورج بوهاس

هو أستاذ في جامعة ليون بفرنسا. اهتم بالتراث العربي، وله في ذلك جهد لا يُنكر.

اهتم الأكاديمي الفرنسي في العقد الأول من القرن العشرين بتحقيق إحدى مخطوطات سيرة الظاهر بيبرس، مؤكدًا أن ما وقع عليه هو نسخة «دمشقية الأصل»، وأن هذه النسخة تحوي رواية «مطابقة» (كذا) «لرواية آخر حكواتي مارس مهنته على الطريقة التقليدية في العاصمة السورية». ولم ينسَ الرجل أن يضع هنا هامشًا احترازيًّا، يقول فيه: «قد يقع الزائر في بعض مقاهي دمشق اليوم على حكواتي، إلا أن وظيفة هذا الأخير أصبحت سياحية أكثر منها اجتماعية»[١٥].

على الرغم من هذه اللغة القاطعة بأن هذه النسخة «دمشقية الأصل»، وأنها مطابقة لرواية «حكواتي» من دمشق؛ فإن المقدمة نفسها بعد صفحتين تؤكد أن «من خصائص المخطوطة أن نصها قائم بشكل واضح على (تأرجح) مستمر في الأصوات والإملاء بين خصائص اللهجة السورية أو المصرية العامية واللغة العربية الفصحى، وإلى جانب ذلك تظهر أيضًا لغة الإفرنج ورطانة الأتراك، إلخ. فبدا لنا أن نترك النص على ما هو عليه، لما يفتحه من أبواب للبحث، ويطرحه من أسئلة حول اللغة، واثقين بإمكان القارئ تقويم الأصوات (كذا)»[١٦].

لقد تراجع المحققان عن فرضيتهما الأولى بأن النسخة «دمشقية الأصل»؛ لأنهما لم يستطيعا تجاهل سمات العامية المصرية والعربية الفصحى في لغة المخطوط، لكن السؤال الأهم في نظري: عن أي عامية شامية ومصرية يتحدثان؟ عامية القرن العشرين أو عامية القرن التاسع عشر؟ لقد أثبت تاريخ العاميات في العالم العربي وغيره أن هذه اللغات المحكية حيوية لدرجة يصعب معها حتى تدوينها أو تثبيت قواعد لها، كما أن العاميتين المصرية والشامية تحديدًا متداخلتان لدرجة يصعب معها فعلًا التمييز بين ما هو شامي وما هو مصري. ولعل انخراطًا أكثر في فضاء السير الشعبية المدونة والشفاهية يؤكد ما أذهب إليه الآن. غير أنه من الظلم مطالبة المحققين

(١٥) انظر: **مقدمة سيرة الملك الظاهر بيبرس**، حققه وعلق عليه: جورج بوهاس، وكاتيا زخريا. طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى. دمشق. ٢٠١١م. الجزء الأول: ٩.

(١٦) السابق: ١١.

هنا بالانتباه لمثل هذا الأمر؛ لأن بضاعتهما في حقيقة الأمر من علم تحقيق التراث متواضعة، كما أن بضاعتهما من الدراسات الشعبية أكثر تواضعًا.

في هذا السياق، أكد بوهاس وزميلته زخاريا، أنهما بعد أن صمما على «نَشْر» هذه المخطوطة «دون تشويهها بهدف تصحيحها»، بدا لهما أنه «من الضروري إيجاد وسيلة مناسبة لتحويلها إلى كتاب مطبوع سهل القراءة ومشوق، يتذوقه القارئ الناطق باللغة العربية أيًّا كانت لهجته أو لغته الأم»(١٧).

وبغض النظر عن بعض الجمل الدعائية التي لا تعني كثيرًا في سياق كالذي نحن بصدده، فقد حدد المحققان - حسب وصفهما لما قاما به - هدفهما من العمل بأنه: «نَشْر»، و«دون تشويه»، و«تحويل النص إلى كتاب مطبوع».

يكشف ما سبق أن المحققين اتفقا مع رجب النجار في الغاية النهائية، وهي الإمتاع دون أن يكون التحقيق معيقًا لهذا الإمتاع المرتجى. غير أن الفارق بين التجربتين أن النجار كان يقف على معرفة عميقة بالتراث العربي، وبالأدب الشعبي العربي في آنٍ واحد، فيما كانت تنقصه بعض الأدوات في علم تحقيق التراث التقليدي، أما بوهاس وزميلته فقد كانا يفتقران إلى ما تكتنز به جعبة سلفهما «النجار»، بل ربما لم يكلفا نفسيهما مشقة الاطلاع على ما قام به.

ثم بدأ بوهاس وزخاريا في تفصيل منهجهما الذي اتسم بملامح شكلية على مستوى «الطباعة»، بمعنى تقسيم النص إلى فقرات، وكيفية بداية كل فقرة، والتنصيص الذي يضعانه أحيانًا حول «قال الراوي»، أو «قال فلان»، بالإضافة إلى العناوين التي أضافاها ووضعاها بين معقوفات، وهو أمر أراه خارجًا عن منهج التحقيق أصلًا، فكيف يمكن وضع ما لم يضعه ناسخ/ راوٍ/ مدوِّن النص، وبأي لغة، وما ضرورة ذلك علميًّا، أو حتى على مستوى الإمتاع وانسياب السرد؟ لكن مثلي لا يملك إلا شكرهما على أنهما ذكرا ذلك.

ولم ينسَ المحققان أن يذكرا أنهما أدخلا على النص علامات الترقيم المعتادة، وهو أمر وارد في كل مناهج ومدارس التحقيق. وكذلك جَبْر الكلمات بالحروف التي يُتوقع أنها سقطت أثناء

(١٧) السابق نفسه.

التدوين، خاصة الألف بصيغة الجمع في نهاية الفعل الماضي والمضارع الغائب[١٨]. وغير ذلك من الإجراءات الشكلية التي تتصل بالطباعة والتنسيق أكثر مما تتصل بعلم تحقيق التراث، ناهيك عن تحقيق التراث الشعبي.

نأتي بعد ذلك إلى ملاحظة في غاية من الأهمية، وهي المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المحققان في عملهما الضخم «تحقيق سيرة الظاهر بيبرص»، فعلى الرغم من إقرارهما بأن هذه الرواية تحتوي على تداخل بين العاميتين المصرية والشامية، بالإضافة إلى العربية الفصحى، فلم يهتما تقريبًا بمصادر تكشف لهما مستوى هذا التداخل، واكتفيا بمصادر قليلة عن العامية الشامية، ولم يستعينا بغير هذا، اللّٰهُمَّ إلا معاجم للعربية الفصحى المتداولة، والتي أشك أنهما استعانا بها كما ينبغي، بالإضافة إلى مرجع عام في العامية[١٩]، وهو مرجع قديم على أي حال.

والحقيقة أن هذا الجانب يعد من القضايا الإشكالية في تحقيق مخطوطات التراث الشعبي العربي، كما سأشير بعد قليل؛ فالمكتبة العربية على غناها تفتقر إلى مواد مصدرية يمكن الاستعانة بها عند تحقيق هذه النوعية من المخطوطات[٢٠].

لكن حتى أعطي المحققين حقهما، فقد حاولا «كلما كان ذلك ممكنًا» - حسب تعبيرهما - الاشتباك مع بعض الألفاظ والتعبيرات، خاصة تلك «المأخوذة من اللغتين التركية أو الفارسية أو من لغة الإفرنج، بل أحيانًا من العبرية»[٢١].

(١٨) اللافت هنا أن المحققَين عند مناقشة هذه النقطة أشارا إلى ما سمياه «الخطاط»، ويريدان به «الناسخ». وعلى الرغم من رسوخ مصطلح النسخ في علم تحقيق التراث، فإن مصطلح الناسخ نفسه يحتاج إلى إعادة نظر عند تحقيق مخطوطات تحوي سردًا شعبيًّا، فالناسخ هنا ليس مجرد رجل أمسك بمحبرة وريشة لتدوين نص، بل هو شريك في الرواية، ومدون بالمعنى المتعارف عليه في علم الدراسات الشعبية.

(١٩) WEHR, H: *A Dictionary of Modern Written Arabic*, ed. by J. M. Cowan, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1961.

(٢٠) لعل هذا من القضايا الإشكالية التي بسطت فيها القول عند تحقيق لمعجم «القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب» لابن أبي السرور البكري، تحقيق مشترك الذي نشرته أكاديمية الفنون بالقاهرة عام ٢٠٠٦م. وكذلك عند تحقيق معجم «التحفة الوفائية في العامية المصرية» الذي نشرته مكتبة الإسكندرية عام ٢٠١٦م.

(٢١) **مقدمة سيرة الملك الظاهر**، مرجع سابق: ١٤.

بقي أن أشير في هذا السياق إلى تركيز المحققين على التفريق بين الواقع والخيال؛ حيث جعلا التاريخ واقعًا، والرواية التي تحملها النسخة المخطوطة خيالًا. ولعل هذه الثنائية التي افترضاها تكشف عن الحاجة الملحَّة لما أسميه «المحقق المتخصص» الذي سأفصِّل القول فيه لاحقًا في هذه الدراسة، فالتاريخ وإن كان «حقيقة» من وجهة نظر محددة، فإن السير الشعبية هي تاريخ من وجهة نظر شعبية.

وفي سياق تركيزي على «المحقق المتخصص»، فمن الضروري هنا الإشارة إلى ما لا يمكن أن أصفه إلا بالفوضى العلمية في عمل جورج بوهاس وزميلته؛ سواء على مستوى تحقيق التراث أو الدراسات الشعبية.

بعد أن أنجز المحققان ثمانية أجزاء من النسخة الخطية الوحيدة التي عثرا عليها مصادفةً على ما يبدو، اكتشفا أن بهذه النسخة نقصًا شديدًا فكان لا بد من البحث عن مخطوطات أخرى لمتابعة التحقيق.

ويضيف جورج بوهاس نفسه في مقدمة الطبعة الثانية: «وقد أتاح لنا بحثنا وتحرّينا لدى بائعي الكتب القديمة في دمشق العثور على مخطوطين؛ أولهما مخطوط «أبو حاتم» وهو الحكواتي المشهور المتوفَّى في أواخر ٢٠٠٩م، ورمزنا إلى مخطوطه بالآتي: «أبو حاتم»، وثانيهما مخطوط مقهى الحجاز، ورمزنا إليه بالآتي: «الحجازية». ولا يُتيح لنا اعتماد المخطوطين هذين متابعة التحقيق على أسس جديدة وسد ثغرات كبيرة أحيانًا في نسخة «أبو أحمد» فحسب، بل يمكننا أيضًا من إعادة تحقيق الأجزاء التي سبق نشرها، فنسد ما في النص المطبوع من ثغرات، ونضيف إليه ما ورد في المخطوطين الجديدين من مقاطع لم ترِد في المخطوط الأول (مخطوط أبو أحمد). وهكذا نأمل أن نتوصل إلى نسخة مطبوعة من سيرة بيبرص تأتي على أتم ما يكون»[٢٢].

(٢٢) **مقدمة سيرة الملك الظاهر**، مرجع سابق: ١٧.

إن ما سبق هو - للأسف - نص باحث راسخ في جامعة ليون، ولعلي لا أملك إزاءه إلا طرح بعض الملاحظات العلمية السريعة:

**أولًا**: لقد أثبت ما سبق أن هناك ضرورة ملحَّة عند التصدي لتحقيق نص شعبي لمعرفة دقيقة بعلم تحقيق التراث بمستواه الكلاسيكي الذي يحترم معنى النسخة الخطية، ويعرف حدودها، ومتى يمكن الخروج عليها، وضرورة الالتزام بها.

**ثانيًا**: يؤكد كلام جورج بوهاس الحاجة الملحة للمحقق المتخصص، الذي يستطيع في هذا السياق التفريق بين الرواية والنسخة الخطية التراثية.

**ثالثًا**: يؤكد ما ذكره بوهاس من ضرورة بناء باحثين مؤهلين للتعامل مع مخطوطات التراث الشعبي، بحيث يكونون على معرفة بعلم التحقيق، في الوقت نفسه الذي يكونون فيه على معرفة بمناهج الدراسات الشعبية وبنيتها المفاهيمية ومصطلحاتها العلمية الدقيقة.

**رابعًا**: ضرورة مناقشة مثل هذه الأنشطة «العلمية» التي تخضع لشروط ورغبات مراكز التمويل الغربية.

**خامسًا**: الاستهانة بالدراسات الشعبية قد يأتي من باحثين في وزن جورج بوهاس، فقد استهان الرجل بما يحققه، لدرجة أنه خلط بين النسخ الخطية والروايات الشفاهية التي تم تدوينها دون معرفة: مَن دوّنها؟ متى دوّنها؟ هل هناك نسخ أخرى من هذه الرواية؟ بأي أدوات جرى تدوينها؟ ثم: من الراوي؟ وما خلفيته الاجتماعية والثقافية وغيرهما؟ وهي أسئلة - وغيرها كثير - يعلم الطلاب المتخصصون في الدراسات الشعبية والجمع الميداني أنها ضرورية بل وبديهية.

وعلى الرغم من كل ما سبق، فقد استمر هذا «التحقيق» بعد ذلك تحت إشراف جورج بوهاس، بباحثين أقل اهتمامًا وأكثر استهانة بكل ما سبق ذكره.

## رابعًا: تجربة غافييه مطر

هي في الحقيقة من أكثر التجارب التي طالعتها انضباطًا واحترامًا للنص، على الرغم من أنها فيما يبدو ليست متخصصة في تحقيق التراث بمعناه الكلاسيكي، كما أنها - على ما يتضح من

مقدمتها – ليست متخصصة في الدراسات الشعبية. لكنها امتلكت صرامة منهجية جعلتها تتسم بدقة في العمل قرَّبتها كثيرًا – في نظري – من المحقق المتخصص.

غير أن لي على مشروعها في تحقيق سيرة الزير سالم عدة ملاحظات، لا تقلِّل أبدًا من احترامي لما قامت به، وهي:

**أولًا**: تعاملت مع تحقيق السيرة وعينها على ترجمتها وليس تحقيقها، وهو ما جعلها تتغافل كثيرًا عن الدلالات الثقافية وراء الثراء اللهجي الذي تتميز به مثل هذه النصوص.

**ثانيًا**: أكدت – دون مناقشة – أن الرواية التي تحققها هي «سورية»، تقصد أنها عامية سورية، دون أن تعرض أسبابها لذلك.

**ثالثًا**: جمعت ملاحظاتها الإملائية في مقدمة التحقيق للتخفيف على القارئ، وحتى لا ترهقه بكثرة الحواشي. ورغم وجاهة هذا السبب، فإن هذه «الأخطاء» الإملائية لا تسير على وتيرة واحدة طوال النسخة الخطية، خاصة في مخطوط المكتبة الأهلية في باريس[٢٣]؛ فقد يكتب حرف الجر «إلى»، وقد يكتبه «إلا»، وقد يكتب «لكن» وقد يكتبها «لاكن»، وقد يكتب «اللي» وقد يكتبها «الي»، حتى إن الياء المتطرفة، ربما وضع الناسخ نقطتيها أحيانًا، وقد يهملهما أحيانًا أخرى.

**رابعًا**: ما زال جهد الباحثة يقتصر– دون أن تصرِّح – على طبع النص ونشره في صورة حديثة. وإن اتسمت طبعتها بالدقة، فإنها لم تشتبك مع النص ثقافيًّا بوصفه نصًّا شعبيًّا (سيرة شعبية) ينتمي لتخصص علمي محدد، ووفق هذا التخصص تجب قراءته. بالإضافة إلى أنها استسهلت وضع عناوين جانبية في النص، وعلى الرغم من أنها أشارت إلى ذلك، فما كان لها أن تضع جسمًا غريبًا في النص الذي تتصدى لتحقيقه، وتلتزم بالحفاظ على روحه من أي تشويش لدرجة إهمال الحواشي «غير الضرورية»، حسب رأيها.

(٢٣) شاءت الظروف أنني أعمل على تحقيق سيرة الزير منذ سنوات، وقد انتهيت من هذا التحقيق منذ وقت قريب. ولذا فإنني أعلم مدى ما عانته الباحثة المحترمة، غير أن لي منهجًا آخر في التعاطي مع هذه السيرة وغيرها من السير، ينطلق من تخصصي في الدراسات الشعبية من جهة، وفي تحقيق التراث من ناحية ثانية. وسوف أعرض لبعض ملامح هذا المنهج في هذه الورقة البحثية لاحقًا.

## التحقيق.. حدود المصطلح

لم يعد تعريف التحقيق محل نقاش رغم الاختلافات البيِّنة على مستوى التطبيق، فالتحقيق عندي ببساطة ودون أن يكون التعريف مخلًّا: هو إعادة نشر كتب صدرت في زمن مضى غالبًا يزيد على مائة عام لإخراجه (كما أراد له مؤلفه)، وذلك وفق إجراءات منهجية تعارف عليها المتخصصون في هذا العِلم.

أقول إن التوافق شبه التام على هذا المبدأ العام، لا يعني أن الممارسات التطبيقية كانت على المستوى نفسه من التوافق، فبين ما يشبه التقديس الباعث على الجمود، والتحرر المؤدي إلى الإخلال بالمخطوطات المحققة كان أداء «المحققين» العرب، بمستويات اختلفت من مجال إلى آخر.

وقد كان مستوى الإخلال العلمي عند تحقيق نصوص شعبية أكبر بكثير من غيرها، سواء على مستوى مخطوطات المعاجم اللغوية أو على مستوى النصوص السردية أو الأشعار الشعبية. فنحن هنا لسنا أمام تحقيق فقط، بل تحقيق مخطوطات شعبية، أو بعبارة أكثر دقة «تحقيق التراث الشعبي»[٢٤].

وكما يبدو من هذا التركيب، فإننا أمام عناصر ثلاثة، يثير كلٌّ منها مجموعة من المفاهيم العلمية التي تنتمي إلى علوم مختلفة ومباحث لكل منها طرائقها المحددة.

أول هذه العناصر: التحقيق الذي بات اسمًا لعِلم مخصوص بالتعامل مع الوثائق الخطية المكتوبة أو المدوَّنة، في أزمنة حددها قانون الوثائق بمائة عام ليس أقل من ذلك، وتركها الباحثون دون تحديد، أحيانًا لأن بعض هذه الوثائق يكتسب - رغم عمر أقل من مائة عام - أهمية في التعامل معه بمنهج علم التحقيق وآلياته. لكن عدم التقيد بمدى زمني صارم كان - عند بعض

(٢٤) أعتمد في هذا التركيب «التراث الشعبي» على أحد التواطؤات العلمية - إن صح التعبير - في مجال الدراسات الشعبية، التي تفيد بأن التراث الشعبي هو الثقافة الشعبية في زمن مضى، والتي أصبحت علاقتنا بها هي علاقة معرفية فقط، وهو ما يختلف عن الموروث؛ إذ إنه التراث الذي ما زال حيًّا على مستوى الممارسة.

الباحثين - استسهالًا لكي يطلق على عمله وصف التحقيق، دون أن يتكبَّد ما يساوي هذا الوصف من الجهد اللازم في مثل هذه العلوم.

ثاني هذه العناصر: التراث. والمقصود به، وفق سياق هذه الدراسة، مجموعة المخطوطات التراثية التي تنتمي لفترات سابقة، والتي يقتضي التعاملُ معها مجموعةً من الأدوات المحددة، للوصول إلى هذه الوثائق الخطية كما أرادها مؤلفها الأول.

ثالث عناصر هذا التركيب: المأثور/ التراث الشعبي. وفي الحقيقة يعد هذا المصطلح العلمي أكثر العناصر الثلاثة اضطرابًا، سواء عند أهل صناعته، أو غيرهم، ولا أستطيع أن أقول إن السبب وراء ذلك حداثة عهد الثقافة العربية بهذا العلم فحسب، بل إن المشكلة في ظني أن نهوض مثل هذه العلوم وانضباطها يعد مؤشرًا مهمًّا على انضباط المجتمعات واحترامها لذاتها وانسجامها الطبقي والفئوي، إن شئنا استخدام تعبيرات اجتماعية، ومعرفة هذه المجتمعات بمواطن النقص فيها، وهو ما لا أجد مؤشرًا على إمكانية حدوثه في مجتمعنا العربي في المدى المنظور. وفي الإجمال أقصد بالمأثور في هذا السياق ما يتصل بعلم الفولكلور، وما يتصل بالجمع الميداني تحديدًا في هذا الحقل العلمي، سواء من ناحية الحصول على المادة الشعبية، أو تدوينها، أو ما يمكن أن يكون مأثورًا لكن الحصول عليه يكون عن طريق النسخ الخطية في مراكز المخطوطات في مكتبات العالم.

وكما هو واضح من عنوان الدراسة، فإن التحقيق عامل مشترك بين التراث والمأثور؛ حيث إن موضوع الدراسة باختصار يبحث في إمكانية الاستفادة من علم التحقيق في دراسة المأثورات الشعبية، بالدرجة نفسها التي تحققت في علم تحقيق التراث. أي إنني أرمي من وراء هذا الطرح إلى تحقيق النسخ الخطية التي دُوِّنت في زمنها باعتبارها مأثورًا، أو تلك التي يمكننا اعتبارها مأثورًا، لو أننا كنا نعيش في زمنها بعقليتنا نحن الآن. في هذه الحالة لا يمكن التعامل مع هذه النسخ الخطية إلا على خلفية المقولات النظرية لعلم الفولكلور، ولكن بأدوات علم تحقيق التراث التي لا مناص من تعديلها (هذه الأدوات) حتى تستقيم مع طبيعة المادة القديمة/ الجديدة.

ولا شك أن كلًّا من المأثورات الشعبية، أو ما اصطلح على تسميته «الفولكلور» هو علم، كما أن تحقيق التراث لا يختلف اثنان الآن على أنه أحد العلوم المهمة التي تضيء للباحثين ظلام المخطوطات العربية، وهي المهمة التي لا يمكن إنجازها دون معرفة كاملة بتاريخ النسخة/ النسخ الخطية وواقعها والملابسات الثقافية لتأليفها. كما أن علم الفولكلور هو علم دراسة فنون المجتمع وعاداته وتصوراته، في ظرف سياسي وتركيب اجتماعي، في زمان ومكان محددين. أي إن الإلمام بما أسميه «المجال الحيوي» - زمانيًّا ومكانيًّا - مهم في كلا العلمين.

على أن اقتران العلمين معًا يدخل - طبقًا لمتخصصي فلسفة العلوم - تحت ما يسمى بالبحوث البينية أو البحوث متجاذبة الاختصاص، وإن كانت التسمية الأولى «البينية» تحمل قدرًا لا بأس به من التسامح؛ حيث يلتقي العلمان في منطقة بين المنطقتين، فإن التسمية الثانية «متجاذبة الاختصاص» تحمل قدرًا كبيرًا من الموضوعية؛ فلا مراء أن واحدًا من العلمين سوف يعلن سيطرته الجينية على موضوع البحث الوليد، نتيجة التزاوج الذي يكون صعبًا بين علمين لا يولِّف بين ذراتهما إلا باحث بمواصفات خاصة.

علينا أولًا أن نجيب على تساؤل محوري: هل هذه المساحة المشتركة بين الفولكلور وتحقيق التراث يمكن اعتبارها علمًا أصلًا؟

يحدد أساتذة فلسفة العلم نشوء علم جديد بحالتين رئيسيتين:

**أولًا**: ظهور مادة جديدة لم تُدرَس من قبل.

**ثانيًا**: دراسة مادة قديمة بمناهج جديدة، بما يعطي نتائج ما كان لها أن تظهر لولا هذه الآليات المنهجية الجديدة. وفي هذه الحالة تحديدًا ظهر كثير من العلوم التي نشأت في مساحة بين عِلمين راسخين، مثل علم النفس الاجتماعي أو علم اللغة التاريخي، أو علم الاجتماع السياسي... إلخ.

وقد ينشأ علم نتيجة الاهتمام بأحد فروع علم معين على نحو مخصوص، بما يجعل هذا الفرع ينحرف منهجيًّا بشكل يتيح له الاستفادة من مناهج علوم أخرى شتى، كما هو حادث مع «علم السياسة» الذي انفصل أحد مباحثه العلمية المعنية بالثورة مثلًا، لتؤسس لما اصطلح على تسميته

«علم الثورة»، ذلك العلم الذي يستفيد على نحو متمايز من علوم: النفس، والاجتماع، والفلسفة، والاقتصاد، وغيرها من العلوم.

اعتمادًا على ما تقدم، هل يمكننا اعتبار تحقيق التراث الشعبي علمًا له حدوده الواضحة المتمايزة؟ أو لنُعِد السؤال بصيغة أخرى: هل نستطيع أن نقول باطمئنان إن البحث في هذا المجال/ المساحة المتجاذبة، عَصِيٌّ على الباحثين المنتمين لكلٍّ من تحقيق التراث والفولكلور معًا، نظرًا لتمايزه المنهجي، ولا أقول صعوبته؟

لكي نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أولًا أن نطرح ملاحظتين مهمتين:

يبحث علم تحقيق التراث أولًا في التثبُّت من صحة العلاقة بين الوثيقة/ المخطوطة والعصر الذي تُنسب إليه، فلا يصح أن نتعامل مع مخطوطة معزولة عن زمن محدد، أو غير محددة الزمن، ولو على نحو تقريبي، وليس تحديد الزمن هو المطلوب فحسب، وإنما صحة هذا النسب الزمني بين المخطوطة وزمنها هو المطلب الأهم الذي لا مندوحة من الاطمئنان إلى تحققه. وفي حال انعدام حدوث هذا التحقق تصبح الوثيقة الخطية مجرد كلام لا صلة له بإنسان هذه المنطقة ولا همومه، ولا يمكن أن تجيب على تساؤل ذي بال.

الأمر نفسه موضع اهتمام شديد في علم الفولكلور؛ إذ إن جمع مادة فولكلورية دون معرفة مطمئنة بزمنها ووقت جمعها، أمر ليس محلًّا للعمل العلمي المنضبط الذي يمكن أن تخرج منه الجماعة العلمية بنتائج مهمة.

الأهمية نفسها تنطبق على مكان الوثيقة ومكان جمع المادة الفولكلورية، فمعرفة مكان كليهما يساعد في إضاءات متبادلة بين الوثيقة والمجتمع الذي أنتجها. وهي ذات الأهمية التي يجب أن يوليها الباحث للتثبت من معرفة المؤلف - إن وجد - في حال النسخ الخطية، والراوي أو الشاعر أو الإخباري أو أيًّا كان اسمه ـ ولا أقول إن وجد ـ في حال الجمع الميداني للعناصر الفولكلورية.

انتهت هكذا حالات التثبت التي يحتاجها كلا العلمين؛ تحقيق التراث، والفولكلور، لكنّ محققي التراث يعتبرون كل النسخ الخطية المتاحة لمخطوط معين مجرد أصداء لمخطوط أصل، يفترضه الباحث ويسعى جاهدًا طوال عملية التحقيق إلى الوصول إليه، حيث يراه نسخة كاملة

مكمَّلة كما أرادها مؤلفها المعروف أو المجهول. في حين يرى الجامع الميداني أن كل نسخة من النسخ التي جمعها لنص واحد حالة علمية قائمة بذاتها، ولا يحتاج للصيغ الأخرى إلا للاستضاءة بها فحسب في التعامل مع الصيغة الشفاهية التي جمعها هو.

وفق هاتين النظرتين يقف محقق مخطوطات التراث الشعبي العربي؛ إذ إنه مطالب باحترام كل نسخة باعتبارها رواية مختلفة لنص أصل، فيما يجب ألا يغفل مستويات التشابه وطبيعته بين كل النسخ التي استطاع الحصول عليها لنص/ رواية واحدة.

يقتضي هذا السياق الإشارة إلى مدى التنوع البالغ الذي تتسم به خزائن مخطوطات التراث العربي، تمامًا كما هو حال التنوع الذي يتسم به واقع المعرفة الإنسانية، فهناك التراث الطبي والتراث الصيدلي والتراث الفلسفي والتراث الأدبي والتراث اللغوي... إلخ. كما أن هناك التراث الرسمي والتراث الشعبي، وهنا تكمن المشكلة؛ فمحقق مخطوط في الطب في الغالب لن يكون بالكفاءة نفسها في تحقيق مخطوط في الصرف أو الرياضيات. ومن جهة أخرى لن يكون محقق مخطوط في الطب الرسمي بكفاءته إذا ما تصدى لتحقيق مخطوط في الطب الشعبي أو السير الشعبية، لكنَّ محققًا متخصصًا في تاريخ الطب العربي سيكون أكثر قربًا وإنتاجًا لمعرفة دقيقة من محقق في السير الشعبية أراد تحقيق مخطوط في الطب العربي.

## المحقق المتخصص

لا أظن أنني أحتاج في مثل هذا السياق إلى التوقف كثيرًا عند مواصفات المحقق بالمعنى الكلاسيكي لهذا العلم الراسخ، فقد بات من المستقر أن المحقق يجب أن يتوفر على معرفة وافية باللغة العربية بألفاظها وأساليبها. كما ينبغي أن يكون على معرفة كافية بالمصادر والمراجع العربية المعينة على مقاربة نصوص عربية قديمة، بالإضافة إلى معرفة بالخطوط وأنواعها وأطوارها التاريخية. ولا مناص من معرفته بقواعد علم تحقيق التراث وإجراءاته وآلياته.

لكن الشرط الذي يراه كاتب السطور جديرًا بالاهتمام في سياق كالذي نحن بصدده الآن، هو ضرورة أن يكون المحقق متخصصًا في مجال العلم الذي يتصدى لتحقيق مخطوط منه؛ فالتحقيق مثله مثل كثير من الأنشطة العلمية المساعدة، والتي تطورت حتى صارت علومًا مستقلة بمناهج وطرائق بحث مخصوصة، مثل: «الترجمة»، و«الجمع الميداني»، وغيرهما، التي أصبحت مجالات معرفية تحتاج من القائمين بها إلى إلمام كافٍ بموضوع وعلم النصوص التي يقاربونها، وليس فقط بكيفية إخراجها للناس(٢٥).

وهنا يمكن العودة إلى أمثلة تعزُّ على الحصر، فكتاب هاينريش فرايهر فون مالتسان مثلًا، والمعنون بـ«رحلة حجي إلى مكة.. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز»، صحَّحت المترجمة كثيرًا من معلومات الرجل عن الإسلام وشعائره وعادات أهله نظرًا لعدم معرفة المؤلف بها بشكل دقيق، وكانت هذه الأخطاء من الكثرة لدرجة أن الناشر أشار إلى ذلك في صفحة منفردة بداية الكتاب(٢٦).

وفي السياق نفسه أيضًا وضع الدكتور محمد عناني اسم باحث في الأساطير هو الدكتور طارق أبو الحسن مراجعًا لترجمة المترجم العَلَم لكتاب «القدس في الأساطير»، الذي صدر عن دار سطور منذ سنوات.

(٢٥) لقد أشرت إلى «المحقق المتخصص» في مقاربة قمت بها في عدد خاص من مجلة الفنون الشعبية، الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب في مصر. وكانت المقاربة ضمن ملف حول جهود الدكتور محمد رجب النجار رحمه الله، حيث عرضت لجهود الراحل في تحقيق التراث. وكانت الملاحظة الأهم في هذه المقاربة أن النجار - رحمه الله - حقق العلامة الكاملة فيما يجب أن يتحلى به محقق السير الشعبية، وكنت أعني أنه الأستاذ المتخصص في موضوع ما تصدى لتحقيقه، لكنه لم يكن بالأساس محققًا بل تصدى لتحقيق سيرة علي الزيبق لسد ثغرة في تحقيق التراث لم يقم بها غيره؛ إذ إن المحققين المتخصصين في التحقيق يفتقرون إلى التخصص في الدراسات الشعبية والأدب الشعبي، ما يجعلهم لا يستطيعون أو لا يهتمون بالتصدي لتحقيق مثل هذه المخطوطات. انظر: هشام عبد العزيز، «محمد رجب النجار.. تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب». **مجلة الفنون الشعبية**، العدد ٧١، يوليو ٢٠٠٦م: ٣٥- ٣٧.

(٢٦) هاينريش فرايهر فون مالتسان، **رحلة حجي إلى مكة.. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز**. ترجمة: د. ريهام نبيل سالم، مراجعة: د. عبد الله أبو هشة، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٨م.

وليس ببعيد من ذلك الاشتراطات التي يشترطها المحقق الكبير رشدي راشد في أي باحث شاب يعمل في تحقيق التراث الرياضي العربي، بأن يكون على درجة من المعرفة الرياضية الأكاديمية قبل الانخراط في تحقيق مخطوط في هذا المجال.

والحقيقة أن مثل هذه الاشتراطات التي تبدو قاسية، هي الضمانة لأمرين:

١- سهولة التعاطي مع المقولات العلمية الأساسية ومنظومة المصطلحات وبنية المفاهيم الخاصة بهذا العلم تاريخًا وحاضرًا.

٢- سرعة إدراك مرتبة هذا المخطوط في تاريخ هذا العلم، وما يمكن أن يكون قد أضافه هذا المخطوط ومؤلفه لهذا العلم. بل ربما كان المخطوط إضافة بارزة لحاضر العلم، لكن تراجع مستوى المحقق وعموميته لا تسمح له بإدراك مثل هذه الإضافة، فيقوم بطمسها وتغييبها وهو لا يدري.

إذا كان اشتراط سعة إلمام المحقق وتخصصه في المجال الذي ينتمي إليه المخطوط على درجة من الأهمية، كما نرى في الطب والرياضيات والفلك والشِّعر وغيرها، فلماذا لا نصرُّ عليه في مجال الأدب الشعبي والثقافة الشعبية وما شابههما.

إن محقق التراث الذي يدرك أهمية الصيغ الشفاهية المتعددة عند تلقيه لنص شعبي من راويه الطبيعي أو المحترف، في بيئة طبيعية أو مصطنعة، يستطيع بلا شك أن يتلقى نصًّا أدبيًّا شعبيًّا في حال التقييد الكتابي أو قُل التدوين.

يستطيع هذا المحقق عند الإمساك بنسخة خطية لألف ليلة وليلة مثلًا أن يتساءل ببساطة عن زمن النسخة ومدوِّنها/ ناسخها وراويها. كما أن منظومته الاصطلاحية التي يستند إليها تضطره إلى البحث وراء مجتمع هذه النسخة الذي أنتجها وتبناها. كما أنه لن ينساق سريعًا وراء أن كل نسخة مخطوطة تعد رواية قائمة بذاتها، محاولًا البحث حول الفوارق العلمية بين النسخ والروايات، كما سنرى.

باختصار، إننا نبحث هنا عن محقق لديه إمكانات المحقق الراسخة والمتفق عليها، لكنه أيضًا يقف على خلفية من علم الفولكلور بما يحتوي عليه هذا العلم من منظومة مفاهيمية كاملة ومناهج بحث مخصوصة(٢٧).

## إجراءات منهجية بين الثبات والتغير

يذهب بنا الحديث عن المحقق المتخصص إلى سمات خاصة بعلم التحقيق عند التصدي لنصوص شعبية، بما يطرح إشكالات مختلفة باختلاف طبيعة النص المحقق إن كان سيرة أو موّالًا أو مربعًا أو معجمًا لهجيًّا.

إن هذا الثراء/ التنوع المفاهيمي الذي اضطرنا للبحث عن محقق متخصص، هو نفسه الذي يدفعنا دفعًا إلى تطوير الإجراءات المنهجية الخاصة بعلم التحقيق كلما اختلفت المادة المحققة.

لكن يجب الحذر كل الحذر من أن يكون «التطوير» مبررًا لتخلينا، أو بالأحرى، لتخفُّفنا من القواعد العلمية الصارمة التي يجب أن يتسم بها علم تحقيق التراث. بل إن هذا التطوير المقترح هو مما يزيد الإجراءات المنهجية للتحقيق صرامةً، ولا أقول صعوبة.

فلا مناص أمام المحقق – أي محقق – من البحث ومحاولة الوصول الجادة لجميع النسخ الخطية التي يتصدى لتحقيق محتواها. ولن أقول هنا كما يقول شيوخنا في علم التحقيق: «الحصول على ما يكفي من نسخ خطية»، أو أن نسخة المؤلف التي نسخها بيده ربما تغني عن غيرها، فنحن هنا

(٢٧) وقد دخلت في تجربة تحقيق مخطوط «القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب» لمؤلفه ابن أبي السرور البكري، وكان المخطوط نفسه قد تصدى لتحقيقه عام ١٩٦٢م السيد إبراهيم سالم، ومراجعة الأستاذ إبراهيم الإبياري. وقد فوجئت عند مقارنة ما قمت به وزميلي الباحث عادل العدوي، وما قام به السيد إبراهيم سالم، أن تخصصنا في الدراسات الشعبية كان فارقًا إلى حدٍّ كبير. فقد قام محقق النسخة القديمة وأقره مراجعه الجليل بتفصيح مواد المعجم الذي ينبني أصلًا على اللغة العامية، وهو أصلًا اختصار لمعجم أكبر منه هو «دفع الإصر عن كلام أهل مصر» ليوسف المغربي. كما أن المحقق أهمل المواد التي أوردها ناسخ النسخة الخطية، الذي هو ابن أبي السرور البكري أيضًا. فانتهى الأمر إلى أنني وزميلي وقفنا في جانب مع يوسف المغربي وناسخ المقتضب يوسف الملوي، وفي الجانب الآخر وقف ابن أبي السرور البكري ومعه محقق كتابه عام ١٩٦٢م السيد إبراهيم سالم. وقد كان للحادثة تفاصيل أكبر وأعمق سردناها في مقدمة التحقيق المشار إليه. انظر: ابن أبي السرور البكري، **القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب**، تحقيق: هشام عبد العزيز، وعادل العدوي، تصدير: مدكور ثابت، أكاديمية الفنون، القاهرة، ٢٠٠٦م.

في تحقيق التراث الشعبي، لسنا أمام مؤلف، وربما لن نعرف اسم الناسخ، كما أننا ربما تصدينا لتحقيق مخطوط احتوى على عادة شعبية أو معتقد ديني أو صيغة شفاهية أقدم بكثير من الزمن الذي ينتمي إليه المخطوط مادةً وورقًا ومدادًا وخطًّا، وهو إشكال منهجي يحتاج لتفصيل آخر.

كما أنه لا مناص أمام المحقق من التعريف بمفردات نصه سواء على المستوى اللغوي، أو آياته وأحاديثه أو أعلامه ونباتاته وحيواناته.. إلى آخر هذه المفردات التي استقر عليها أهل الصنعة. بل ربما كان الأمر أصعب عند التعرض لتحقيق نص شعبي؛ فكثيرًا ما اشتملت هذه النصوص على كنايات شعبية وإحالات إلى تعبيرات وأمثال شعبية، لا يملك المحقق مصادر لكشف العلاقة الثقافية الكامنة في هذه العلامات، لو شئنا استخدام مصطلح سيميوطيقي.

وهنا تنبغي الإشارة إلى أنه على المحقق المتخصص البحث في قوائم مفرداته، فلعلها تكون كلها أو بعضها كاشفة عن «المجال الحيوي» للمخطوط حسبما يطيب لي التعبير، أو النص أو الرواية كما سيأتي لاحقًا.

ولا مناص ثالثًا أمام المحقق، أيًّا كان موضوع مخطوطه من أن يضع للنص الذي يتصدى لتحقيقه مجموعة كافية وافية من الكشافات العلمية. على أن لا ترتبط هذه الكشافات بأرقام الصفحات، بل على المحقق المتخصص أن يقسِّم نصه إلى وحدات مرقمة تكون هذه الوحدات موضوعية كلما أمكن ذلك، أو شكلية إذا تعذر التقسيم الموضوعي، وأن تكون الإحالة في الكشافات على رقم الوحدة[٢٨].

(٢٨) حاولت ترسيخ هذا المبدأ المنهجي فيما تصديت له من تحقيقات؛ ففي معجم «القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب»، وفي معجم «التحفة الوفائية في العامية المصرية»، رقّمت مواد المعجم وأحَلْت إلى هذه الأرقام في الكشافات. أما في تحقيقي الذي انتهيت منه مؤخرًا ولم ينشر حتى الآن لـ«سيرة الزير سالم»، فقد اعتمدت تقسيمًا شكليًّا للنص الذي زاوج بين الشعر والنثر، فكنت عند بداية كل فقرة نثرية، أضع رقمًا، ولا أضع رقمًا آخر إلا عند بداية قصيد.. وهكذا. وتكمن الفائدة في هذا النهج في أمرين؛ الأول: أن أرقام الكشافات لن تختلف باختلاف الطبعة. ثانيًا: أن هذا النهج يعطي في كثير من الأحيان نتائج إحصائية من حيث عدد تكرارات كل عنصر. انظر: ابن أبي السرور، مصدر سابق؛ ومحمد وفا أفندي، **معجم التحفة الوفائية في العامية المصرية**، تحقيق: هشام عبد العزيز، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٦م.

لقد كانت الإجراءات المنهجية التي تحدثت عنها آنفًا هي أكثر الإجراءات المنهجية في علم التحقيق التي لا تتغير بشكل ملحوظ عند التصدي لتحقيق نص شعبي، لكن هناك إجراءات أخرى أكثر تغيرًا وتحتاج لمحقق أكثر مرونة، ومن هذه الإجراءات يمكن الإشارة إلى:

١- **المقابلة بين النسخ**: وهو ما يفرض على المحقق المتخصص بداية أن يتساءل: أي هذه النسخ يمكن اعتبارها أصلًا وأيها فرع عليها؟ بل، هل تجوز المقابلة أصلًا؟ وإنْ، فما طبيعة هذه المقابلة؟

لقد تعرضت لتحقيق نص لحكايات تنتمي لعالم ألف ليلة وليلة[٢٩]، لكنها اتسمت بـ:

| | | |
|---|---|---|
| وحدة الحكاية | مقابل | وحدة الليلة |
| الراوي المحترف | مقابل | شهرزاد |
| الحكي لاقتسام «الغلة» في مقهى | مقابل | الحكي للخلاص من الموت |

إلى غير ذلك من الاختلافات الكثيرة بين النصين التي كان أهمها اختلاف تفاصيل السرد واختفاء إحدى حكايات المخطوط الجديد من نص ألف ليلة وليلة الذي صحَّحه قطة العدوي، ونشرته مطبعة بولاق منتصف القرن التاسع عشر.

أيكتفي المحقق المتخصص هنا بمجرد التصريح بأننا أمام روايتين مختلفتين لا تقتضيان المقابلة، أو أن هناك نوعًا من المقابلة الموضوعية الواجبة التي لا مناص من الوقوف عليها وكشفها إجمالًا وتفصيلًا.

٢- **ضبط النص كما أراد له مؤلفه**: والمراد هنا بكلمة ضبط أي «تدوينه وإحكامه»، فكلمة ضبط هنا في مجال الدراسات الشعبية، خاصة فيما يتصل بمعاجم اللهجات، تقتضي جهدًا شديدًا، يحتاج إلى التوفر على مصادر ليست كلها متوفرة بين يدي المحققين المتخصصين في هذا المجال.

(٢٩) **ألف ليلة وليلة.. حكايات أخرى**، تحقيق: هشام عبد العزيز، دار إضاءات، القاهرة، ٢٠٢٢م.

## ملاحظات أساسية تُنتبَه

وهي ملاحظات عامة تتصل بالمنهج، لكنها في الوقت نفسه وثيقة الصلة بالدراسات الشعبية.

**أولًا**: تبدأ هذه الملاحظات بأن على المحقق المتخصص في تحقيق النصوص الشعبية أن ينتبه إلى الطبيعة الشفاهية للتراث العربي بشكل عام، فليس عليه أن يتعامل مع التكرارات والعطف أو شكل التدوين بوصفها طبيعة لهجية، كما أنه لا ينبغي أن يهمل ذلك؛ فتدوين كلمة مع إهمال الهمزة لا يعني أنها بلا همزة، ولا يعني أنها تنطق بهذا الشكل بين العامة، كما أن تحقيق نص بالعامية يتفق في بعض سماته مع العامية الحالية لقطر من الأقطار لا يعني أنه ضمن عامية هذا القطر نفسه في زمن تدوين هذا المخطوط.

وقد عانيت أحيانًا كثيرة من عادات ومسكوكات لغوية في نصوص شعبية تنتمي لمجتمع عربي، في حين أنها تتوافق في أحيان كثيرة مع عامية مجتمع آخر في العصر الحالي.

**ثانيًا**: إيلاء الاهتمام الكافي بما أسميه «المجال الحيوي» للمخطوط، ومن ذلك: المعرفة التامة بتاريخ المخطوط كلما أمكن ذلك، والمعرفة التامة بمؤلفه أو ناسخه كلما أمكن ذلك، والمعرفة الكافية بالنشاط العلمي والثقافي للمؤلف أو الراوي أو الناسخ المدون، والمعرفة الكافية بجغرافيا تداول النص المحقق.

ولاستيضاح أهمية وخطورة ما سبق يمكن الإشارة إلى أمثلة تطبيقية تعرضتُ لها أثناء عملي في تحقيق بعض النصوص، ومن ذلك الاهتمام بتاريخ المخطوط؛ بمعنى قصته وسيرة حياته إن صح التعبير. فقد تعرضت لتحقيق مخطوط «القول المقتضب» لابن أبي السرور البكري، بمشاركة الباحث عادل العدوي منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، وظهر للنور محقَّقًا عام ٢٠٠٦م، وهو مخطوط أُلِّف اختصارًا لمخطوط سابق عليه هو «دفع الإصر عن كلام أهل مصر» لصاحبه يوسف المغربي، الذي ألفه حين كان ابن أبي السرور البكري طفلًا.

تدفع معرفتنا بتاريخ المخطوط وقصة حياته إلى احترام وتقدير النصوص المختصرة بشكل يتساوى مع النصوص الأصلية التي تم اختصارها؛ إذ إن النسخة الخطية التي احتفظ لنا بها

الزمن من كتاب «دفع الإصر» ضاع منها عدد من الكراسات، ولم يعد لهذه الأوراق التي ضاعت وجود إلا في مخطوط «القول المقتضب».

كما أن حالة الجدل التي جرت بين مخطوطَي «دفع الإصر» و«القول المقتضب»، تشير إلى ضرورة احترام هوامش وحواشي النسخ الخطية، بما يتساوى ومتن المخطوط إن لم يكن أكثر أحيانًا؛ فقد كان ابن أبي السرور البكري عند اختصاره لمخطوط «دفع الإصر» يهمل ما يراه خارجًا عن حدود الأدب أو الفصاحة أو النقل المباشر من أغاني وتعبيرات العامة في الشارع، وهو ما كان يهتم به يوسف المغربي في كتابه. لكنَّ ناسخًا أريبًا تصدى لنسخ «القول المقتضب» من نسخة ابن أبي السرور، وقد وضع أمامه نسخة كانت بحوزته من كتاب «دفع الإصر»، وأضاف في هامش كتاب «القول المقتضب» ما كان ابن أبي السرور البكري قد حذفه، فجاء نَسْخ يوسف الملوي الشهير بابن أبي الوكيل لكتاب «القول المقتضب» أكثر اكتمالًا من أي نسخة أخرى للكتاب نفسه، بل وأكثر اكتمالًا من كتاب «دفع الإصر» ليوسف المغربي نفسه.

ومن أهم عناصر المجال الحيوي للمخطوط ما سميته في دراسة سابقة «جغرافيا التداول»[٣٠]، وهو ما يعني أن كل نسخة/ رواية شعبية لنص ما تحمل في طياتها ما يشير إلى جغرافيا تداولها، والطبيعة السكانية لحاملي هذه الرواية/ النسخة، ومن يتبنونها من حيث: النشاط الاقتصادي والطبيعة السكانية. ويمكن هنا الإشارة إلى ملاحظة جغرافية في إحدى النسخ الخطية لسيرة علي الزيبق، جاء فيها تعبير «دار وجهه إلى الشرق (القبلة)». وقد ورد هذا التعبير في وصف علي الزيبق حين كان متنكرًا في هيئة العبد سعيد. حيث أدار علي/ سعيد وجهه إلى الشرق، أي اتجه إلى القبلة للدعاء على دليله.

اللافت هنا أن الأحداث وقتها كانت تجري في بغداد، وكان المفترض أن يتجه ناحية الجنوب أو الجنوب الغربي وليس الشرق. لكن الاتجاه ناحية الشرق معناه أن راوي السيرة كان في مصر، ولم يكن في الشام ولا في العراق.

(٣٠) انظر: هشام عبد العزيز، **مفهوم السيرة الشعبية**. دار حروف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١م.

كما أن إحدى روايات/ نسخ سيرة الزير سالم انفردت في قائمة أماكنها بالتركيز على منطقة حوران، وهي المنطقة الواقعة جنوبي سوريا وشمالي الأردن. وتمتد جغرافيًّا وتاريخيًّا من جنوب دمشق وصولًا إلى نهر الزرقاء في الأردن. يحدها من الشمال غوطة دمشق، ومن الشرق تلول الصفا، ومن الجنوب صحراء الأردن، ومن الغرب مرتفعات الجولان المحتلة. ومعظم سكان حوران من العرب، لكنهم غير متجانسين دينيًّا، فبينهم مسلمون ودروز وروم أرثوذكس وكاثوليك.

واللافت أن حوران ذُكرت في هذه النسخة دون باقي النسخ التي استطعت العثور عليها. ولعل لهذا دلالة تتصل بجغرافيا تداول هذه الرواية أو تدوينها. ومنطقة حوران من مناطق الوجود المسيحي، وهو ما يشير ربما إلى أن هذه الرواية كانت متداولَة في منطقة شمال شرقي مصر وشمال غربي الجزيرة العربية والشام.

وقد كان راوي هذه الرواية/ النسخة مسيحيًّا يصلي على السيدة العذراء، وهو ما يتفق والتنوع الديني في منطقة حوران، فيما كانت بقية النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق سيرة الزير سالم خالية تمامًا من ذكر هذا المكان، ومن الصلاة على السيدة العذراء أو ذكرها.

**ثالثًا**: يشير العنصر السابق إلى ضرورة التركيز على مفهوم «الرواية» إلى جوار مفهوم «النسخة». وتجب الإشارة إلى أنه قد تكون هناك أكثر من نسخة هي صدى لرواية واحدة، وقد تكون كل نسخة رواية قائمة بذاتها، وهنا يجب التعامل بإجراءات منهجية مرنة بحيث تتم المقابلة الحرفية قدر الإمكان بين النسخ التي تصدر عن رواية واحدة، فيما يقوم المحقق المتخصص بالمقابلة الموضوعية قدر الإمكان بين النسخ التي تعبِّر كلٌّ منها عن رواية مختلفة[٣١].

**رابعًا**: مع تحقيق التراث الشعبي تبرز أهمية مصطلح التدوين، وهو منظومة المصطلحات الخاصة في الجمع الميداني للنصوص الشعبية؛ حيث يثير مجموعة من القضايا الخاصة بتدوين العاميات، تدور حول ما يجب أن يدوَّن: هل هو ما ينطق أو ما تم التعارف على تدوينه هجائيًّا

(٣١) وقد قمت بالمزاوجة بين الأمرين، حين نفذت مقابلة حرفية بين نسختين لسيرة الزير سالم كانتا عبارة عن نشر تجاري للسيرة أواخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين. وكان الاختلاف بين النسختين على كثرته شكليًّا وتفصيليًّا، لكن في الوقت نفسه اعتمدت عند تحقيق نسخة أخرى على مقابلة موضوعية في الهامش بينها وبين النسختين الأوليين؛ إذ إن الاختلاف كبير رغم اتفاق الخطوط الدرامية العامة.

وفقًا للتدوين الفصيح؟ وهي أمور تحتاج لجهد من الجماعة العلمية للتوافق حولها، كما تحتاج للمرونة من المحقق المتخصص أثناء العمل.

وتشير هذه القضية أيضًا إلى قضايا تدوين الروايات الشفاهية، وإلى أي حدٍّ يمكن اعتبارها نسخة خطية، وتحقيقها كما يتم تحقيق المخطوطات.

**خامسًا**: الاهتمام بمفهوم الرواية - طبقًا لأدبيات علم الفولكلور - أكثر من مفهوم النسخة أو بالتوازي معها. فربما كانت مجموعة نسخ عبارة عن صدى لرواية واحدة، وهنا يمكن تحقيقها وفق آليات منهج التحقيق الكلاسيكية من حيث المقابلة بين النسخ، والبحث حول مؤلف لها أحيانًا، أو الاهتمام بالاستقصاء حول ناسخها.

**سادسًا**: توسيع النظرة لمصطلح الناسخ، ومقاربة هذا المصطلح في ضوء مقاربات شبيهة في علم الفولكلور تشمل «المدوِّن»، وهو العمل الذي يهتم بتدوين النص الشفاهي. والعلاقة بين الناسخ والمدون أنهما معًا عانيا قضايا تتصل بكيفية تدوين النص غير الرسمي، واجتهدا في التوفيق بين ما يسمعانه من الراوي من جهة، والطريقة المعيارية المعتمدة في تدوين اللغة الفصحى من ناحية أخرى. كما أن مستوى تدخل المدون/ الناسخ في حال تدوين نص شعبي يتسع أحيانًا حتى يقترب من مشاركة الراوي في «الرواية».

**سابعًا**: على المحقق أن يتحلى بالمرونة في المزاوجة بين الاهتمام بإجراءات منهجية تتصل بعلم التحقيق الكلاسيكي أحيانًا وإهمالها أحيانًا أخرى. وقد قمت بذلك أثناء تحقيقي لسيرة الزير سالم؛ حيث اعتمدت آلية المقابلة بين النسخ أحيانًا وأهملتها أحيانًا أخرى تبعًا لمفهوم الرواية الذي سأفصل فيه بعد قليل.

**ثامنًا**: تتحدد الإجراءات المنهجية الخاصة بتحقيق مثل هذه النصوص وفق محددين أساسيين، هما: طبيعة النسخ الخطية وما تحويه من مادة من جهة، ومدى نجاعة هذه الإجراءات في التعاطي مع هذه المادة من ناحية ثانية.

**تاسعًا**: لا مانع أبدًا من نشر رواية شفاهية قمت بجمعها من الميدان إلى جوار الرواية التي حصلت عليها من نسخ خطية؛ حيث إن ما ستكشف عنه مثل هذه المزاوجة سيكون مذهلًا.

وإن لم تكن لديك مثل هذه الرواية الشفاهية وكان هناك من الباحثين من جمعها قبلك، يمكنك الإشارة إليها أثناء تحقيقك كلما رأيت ذلك مناسبًا وضروريًّا. وقد أضفت - أثناء تحقيقي لسيرة الزير - رواية شفاهية معاصرة للسيرة إلى جوار الروايات المدونة، في محاولة للكشف عما يصيب هذه النوعية من الروايات إذا ما تغير الوسيط الناقل من ناحية، وكذلك لمعرفة أثر مرور الزمن على هذه الروايات، فإذا بالرواية الشفاهية التي كانت في جعبتي منذ نحو خمسة عشر عامًا تكشف كذلك عن أثر المكان في السرد السيري، فكان المجتمع الفيومي، جنوب غربي مصر، في أحد مراكز محافظة الفيوم المصرية، وهو مركز إطسا، كان من المجتمعات التي تبنَّت السيرة، ربما بسبب تشابه جغرافيا الأحداث. كما أن هذه الجغرافيا تركت بصماتها على ملامح السرد في السيرة، فأصبح الزير أحد مدمني الخمر في خمارة «هنا في الفيوم»، حسب تعبير الراوي.

**عاشرًا**: كثيرًا ما يحتاج الأمر إلى بعض الشرح للكشف عن دلالات قد تخفى على القارئ غير المتخصص، خاصة إذا كانت هذه الدلالات شعبية وتتصل بثقافة محلية.

**حادي عشر**: وَضْع عدد من الكشافات الضرورية لحصر المادة الثرية المتناثرة في الروايات/ النصوص؛ وذلك لتعظيم الاستفادة منها. على أن يتم وضع الكشافات بعد تقسيم النصوص والروايات إلى وحدات وترقيم هذه الوحدات بأرقام غير أرقام الصفحات. وقد قمت في تحقيق سيرة الزير أولًا بوضع رقم لكل رواية، فكانت الرواية الأولى (١)، والثانية (٢)، والثالثة (٣)، وهكذا. أما داخل النصوص نفسها، فقد قسَّمت النصوص إلى وحدات تبدأ كل وحدة مع كتلة نثرية أو قصيدة شعرية، فإذا ما انتهت القصيدة وجاء بعدها سرد نثري نضع رقمًا آخر، فإذا ما بدأ الراوي في قصيدة جديدة وضعنا رقمًا جديدًا، ويكون التكشيف على النحو التالي: رقم النص، ثم رقم الوحدة، فنقول: ٥/١، أي النص الأول الوحدة الخامسة. وإذا قلنا ٢٥/٢، فهو يعني النص الثاني الوحدة الخامسة والعشرين، وهكذا.

وتكمن أهمية هذا المنهج في أن التكشيف يتم مرة واحدة وللأبد، فإذا ما انتهت الطبعة وتم طبع الكتاب مرة أخرى فلن تختلف أرقام الكشافات مهما اختلف قَطْع الطبعة الجديدة. كما يمكن من خلال هذا المنهج معرفة مدى انتشار عنصر من العناصر طوال النصوص المكونة للكتاب.

**ثاني عشر**: ينبغي الاهتمام بحيوية النصوص الشعبية، خاصة إذا ما كانت هذه النصوص ذات طابع تاريخي؛ حيث إن مستوى «التحريف» بالمعنى الإبداعي، أو بالمعنى السياسي الاجتماعي يشيع في مثل هذه النصوص، بقصد أحيانًا وبغير قصد أحيانًا أخرى. وعلى المحقق الأريب أن يراجع كل معلومة وكل اسم شخصية وكل حدث مهما كان ثانويًّا، فربما كانت الإضاءة التاريخية البسيطة في ذاتها مهمة إذا ما تم النظر إليها على مستوى النص بشكل عام. وأذكر أنني أثناء تحقيق سيرة الزير، واجهت كثيرًا من هذا الخلط بين التاريخ والسرد الشعبي، فقد ورد – على سبيل المثال – اسم عدي بوصفه أحد إخوة الزير سالم، كما ورد أحيانًا داخل السيرة باسم عدية. والمعروف أن عدي بن ربيعة أخو كليب هو الزير نفسه وليس أخًا ثالثًا. لكن رواة السيرة أوردوا ذلك على سبيل الوهم والخلط. ولهذا السبب فقد رأيت أن أضرب صفحًا عن الصواب التاريخي، وأن أسير مع خط السيرة إلى منتهاه؛ حيث إن شخصية عدي/ عدية لها وجود مستقل عن شخصية الزير في أحداث السيرة، لكنني آثرت أن أوحِّد اسمه على «عدية» لسببين؛ أولًا: أن اسم عدية ورد في النسخ الخطية أكثر من عدي. ثانيًا: لكي يختلف بعض الشيء عن اسم عدي الذي هو اسم الزير نفسه في المصادر التاريخية.

وشبيه بذلك شخصية ضباع أخت الزير في السيرة، فلم أستطع العثور في المصادر التاريخية على شخصية اسمها ضباع. لكن ربيعة له بنت اسمها أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبية. ولها ديوان شعر. وهي أخت كليب بن ربيعة والزير سالم. وهي شاعرة من تغلب شاركت قومها في حروبهم. رثت أخاها كليبًا في شعر موجَّه إلى جليلة زوجة كليب وأخت جساس. وقد ذكر جواد علي أيضًا فاطمة بنت ربيعة التغلبية؛ أخت عدي بن ربيعة (المهلهل)، وكليب بن ربيعة؛ زعيمي تغلب في الجاهلية قبل وأثناء حرب البسوس. حضرتْ مقتل كليب، وكانت تحب نظلة أو نضلة؛ أخا جساس بن مرة؛ قاتل كليب، ولكن نظلة قُتل أثناء حرب البسوس، فحزنت عليه. ثم طلبها حجر بن الحارث الكندي وتزوجها وأنجبت له ملك الشعراء امرأ القيس. اللافت هنا أن فاطمة هذه هي الشخصية التاريخية المعادلة لضباع في أحداث السيرة؛ زوجة همام بن مرة، الذي قتله الزير[٣٢].

(٣٢) انظر على سبيل المثال: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط٤، دار الساقي، ٢٠٠١م، ج٦: ٥١.

وقريب من ضباع في السيرة، زوجها في السيرة أيضًا «همام بن مرة»، وهو تاريخيًّا: همام بن مرة بن ذهل بن شيبان؛ أخو جساس بن مرة؛ قاتل كليب بن ربيعة. قُتل يوم «الواردات» من أيام حرب البسوس. لم يرد في سيرة همام التاريخية أنه تزوج ابنة عمه ضباع. لكن السيرة الشعبية زوجتهما. ولأن حبيب ضباع الحقيقي - وهو نظلة أو نضلة بن مرة - قُتل في حرب البسوس، فقد قتلتِ السيرةُ الشعبية همام. ولأن همام الحقيقي له ولد فقد قتلته السيرة، ولكن بعد زواجه من ضباع، رغم أن ضباع لم تتزوج نظلة (المعادل التاريخي لهمام).

وأحيانًا تخترع السيرة شخصيات لم تكن موجودة ولا ظل لها في التاريخ، من ذلك سلطان بن مرة، فلم يرد تاريخيًّا في أبناء مرة ابن باسم سلطان، غير أن السيرة الشعبية ذكرت ذلك. بل ولم أستطع العثور على اسم بهذا الشكل (سلطان بن مرة) إلا في كتاب من كتب الشيعة باعتباره أحد رواة الحديث. ولم يرد فيما أعلم إلا هذه المرة[٣٣].

**ثالث عشر**: قد يحتاج المحقق أحيانًا إلى المقارنة الموضوعية - وأحيانًا الإحصائية - بين الروايات التي يتصدى لتحقيقها، ومقابلتها موضوعيًّا، فربما حملت الإحصاءات والمقارنة بين الروايات إشارات ثقافية دالة، وقد وجدت مثل ذلك في شرح مصطلح الخراج عند تحقيقي لسيرة الزير. فقد ورد اللفظ في إحدى الروايات، فقمت بتعريفه بأنه: «ما يخرجُ مِن غَلَّةِ الأرض. واصطلاحًا هو: ضريبة الأرض أو الجزية التي كانت تُفرض على أهل الذِّمة. والأرض الخراجية هي البلاد التي فُتِحَتْ صُلْحًا دون حرب». ثم أضفت: «اللافت هنا أن مصطلح الخراج ورد في هذه الرواية ثماني مرات، في حين لم يرد في الرواية الثانية سوى مرة واحدة. ومرادف هذا اللفظ/ المصطلح في الروايتين لفظ العُشْر- بضم العين وتسكين الشين - وقد ورد مرة واحدة في كل رواية من الروايتين. أما لفظ الجزية وهو مصطلح ضريبي ثالث، فقد ورد في هذه الرواية مرتين، فيما ورد ثلاث عشرة مرة في الرواية الثانية. وربما كان لهذا التواتر العددي دلالة إذا ما تذكرنا أن راوي الرواية الثانية كان مسيحيًّا على الأرجح».

(٣٣) انظر: أبو جعفر بن الحسن بن الصفار القمي، **بصائر الدرجات**. صححه وعلق عليه: الحاج محسن كوجه باغي التبريزي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، إيران، ١٤٠٤ق.

**رابع عشر**: على الباحث المحقق إذا ما تصدى لتحقيق نص له ما يشبهه في الثقافة الشعبية أن يكون على اطلاع دقيق ببقية النصوص، فقد ترد إشارة في أحد هذه النصوص له علاقة بنص شبيه أو بنصوص. وقد ورد في سيرة الزير سالم عَرَضًا أن حسان حين أمر جيوشه بالسير تجاه ربيعة وأخيه مرة، ضرب طبل الرجوج. وقد كانت كلمة عابرة، لكن تتبُّعها كشف أن ذكرها في المصادر الرسمية المعتمدة قليلٌ جدًّا، فهي: طبل كبير على ما ذكر رينهارت في تكملة المعاجم. وقد ورد في شعر لشاعر مجهول بمجلة «الرسالة»، بنص: دقت الصنوج والطبل الرجوج/ أبحر تموج ما لها خمود. واللافت هنا أن بعض النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق سيرة الزير سمّت هذا الطبل «الرجوع» كما أوردت في الهوامش. وصوابها قطعًا كما أوردت في المتن «الرجوج»، لكن لعل السبب وراء استخدام اسم «الرجوع» أن الراوي يريد أن يؤكد قوة هذا الطبل وما يصنعه من ضجة تشبه «رجع الصدى»[٣٤]. لكن مَن يطالع السيرة الهلالية يكتشف أن هذا النوع من الطبل كان لحسن الهلالي، وهو: الأمير حسن بن سرحان الهلالي؛ أحد الشخصيات المركزية في سيرة بني هلال، وأخو الجازية؛ أهم شخصية نسائية في السيرة الهلالية. وقد ورد في الأدبيات التاريخية القليل عن حسن الهلالي، وهو في عدد من الروايات حسن بن سرحان بن وبرة الدريدي الأثبجي الهلالي؛ شيخ بني هلال.

أخيرًا، يجب الإشارة إلى نقص علمي حاد في المصادر المرجعية الكافية والمعينة للمحقق أثناء عمله في تحقيق المخطوطات الشعبية، مثل معاجم العاميات والأمثال والتعبيرات الشعبية، والعادات والتقاليد والكنايات العامية والتعريف بالمجتمع العلمي والأدبي الذي حمل نصوصنا الشعبية من رواة وإخباريين ونساخ وشعراء شعبيين. وكلها تحتاج إلى جهود علمية أساسية لا مناص عنها للمحقق المتخصص في الأدب الشعبي والثقافة الشعبية بشكل عام.

(٣٤) انظر: رينهارت بيتر آن دوزي، **تكملة المعاجم العربية**. نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩-٢٠٠٠م، ج٥: ٩١؛ وانظر أيضًا: حسني كنعان، «شاعر مجهول». **مجلة الرسالة** (أحمد حسن الزيات)، القاهرة، العدد ٩٥٣، ٨ أكتوبر ١٩٥١م: ١٥.

# المصادر والمراجع

## أولًا: مصادر ومراجع عربية ومترجمة


- أحمد بن محمد بن عرب شاه، **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء**. تقديم وتحقيق وشرح: محمد رجب النجار. سلسلة الذخائر. الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة. القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أبو جعفر بن الحسن بن الصفار القمي، **بصائر الدرجات**. صححه وعلق عليه: الحاج محسن كوجه باغي التبريزي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، إيران، ١٤٠٤ق.
- جواد علي، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط٤، دار الساقي، ٢٠٠١م.
- رينهارت بيتر آن دوزي، **تكملة المعاجم العربية**. نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط. ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩–٢٠٠٠م.
- ابن أبي السرور البكري، **القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب**. تحقيق: هشام عبد العزيز، وعادل العدوي، تصدير: مدكور ثابت، أكاديمية الفنون، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- عبد اللطيف حمزة، **قصة الصحافة العربية منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين**. مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٩٦٧م.
- كمال أبو ديب، **الأدب العجائبي والعالم الغرائبي**، في كتاب **العظمة وفن السرد العربي**. ط١، دار الساقي بالاشتراك مع دار أوركس للنشر، ٢٠٠٧م.
- مجهول، **ألف ليلة وليلة.. حكايات أخرى**. تحقيق: هشام عبد العزيز، دار إضاءات، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- مجهول، **سيرة علي الزيبق المصري**. تحقيق: محمد رجب النجار، سلسلة دراسات شعبية، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مجهول، **سيرة الملك الظاهر بيبرس**. حققه وعلق عليه: جورج بوهاس، وكاتيا زخريا، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، ٢٠١١م.

- محمد عبده، **الكتب العلمية وغيرها**. الوقائع المصرية، ١٢ مايو ١٨٨١م.
- محمد عمر: **حاضر المصريين أو سر تأخرهم**. تحقيق: مجيد طوبيا، دار المحروسة، القاهرة، ١٩٠٢م.
- محمد وفا أفندي، **معجم التحفة الوفائية في العامية المصرية**. تحقيق: هشام عبد العزيز، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٦م.
- هاينريش فرايهر فون مالتسان، **رحلة حجي إلى مكة.. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز**. ترجمة: د. ريهام نبيل سالم، مراجعة: د. عبد الله أبو هشة، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٨م.
- هشام عبد العزيز، **صحف مصادرة في مصر حتى عام ١٩٥٢**. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- هشام عبد العزيز، **مفهوم السيرة الشعبية**. دار حروف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١م.

## ثانيًا: مراجع أجنبية

– Islam Dayeh: "From Taṣḥīḥ to Taḥqīq: Toward a History of the Arabic Critical Edition". *Philological Encounters* 4. Koninklijke Brill NV, Leiden, 2019.
– WEHR, H: *A Dictionary of Modern Written Arabic*, ed. by J. M. Cowan, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1961.

## ثالثًا: دوريات

- حسني كنعان، «شاعر مجهول». **مجلة الرسالة** (أحمد حسن الزيات)، القاهرة، العدد ٩٥٣، ١٩٥١م.
- هشام عبد العزيز، «محمد رجب النجار.. تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب». **مجلة الفنون الشعبية**، العدد ٧١، ٢٠٠٦م.